جامعـــة الجيلالـــي بونعامـــة بخميـــس مليانـــــة
كليـــة العلوم الإنسانيـــة والإجتماعيـــة
قســـــم العلـــوم الإنسانيـــة
شعبـــة التاريـــخ

دور البرتغال والإسبان في الكشوفات الجغرافية وأثرها على الحركة الإستعمارية في الوطن العربي

مذكرة لنيل شهادة الماستر في الظاهرة الاستعمارية في الوطن العربي

من إعداد الطالبين :
- علو شريفة
- زراولة العالية

تحت إشراف الأستاذ:
- دكاني نجيب

السنـــة الجامعيـــة
1437هـ-1438هـ
2016 م- 2017 م

شكروتقدير

قال الله تعالى : << رَبِّ أَوْزِعْنِيْ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينْ >>

سورة النمل الآية 19

في البداية نحمد ونشكر الله عز وجل الذي هدانا ووفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين .

كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من مدى لنا يد العون لإنجاز هذا العمل المتواضع سواء من قريب أو بعيد ونخص بالذكر الأستاذ دوكاني نجيب الذي تابع عملنا هذا ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل أساتذة القسم العلوم الإنسانية والاجتماعية على صبرهم معنا طوال مدة دراستنا وإلى كل عمال الجامعة من أساتذة وإداريين على المساعدات التي قدموه لنا في بحثنا هذا .

علـــو شـــريـفة - زراولـــة العـــالـية

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى روح أبي الطاهرة والزكية الذي صبر وتحمل وكافح من أجل تربيتنا وتعليمنا رحمه الله

إلى والدتي الغالية شفاها الله وأطال الله في عمرها

إلى كل إخوتي : << أحمد ، إبراهيم ، يوسف ، عبد النور >>

<< زهرة ، فتيحة ، شريفة ، جميلة >>

إلى زوجي وكل أفراد عائلته

إلى أبناء إخوتي كل واحد باسمه

إلى الأخت العزيزة التي قاسمتني هذا العمل المتواضع " علو شريفة "

إلى جميع صديقاتي << سمية ، عائشة ، خديجة >>

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا البحث المتواضع

العـــالـية

إهـــــداء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : << وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِ مِنَ الرَحْمَةِ وَقُلْ رَبِيْ اَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَانِي صَغِيرَا >> الإسراء الآية 24

أهدي ثمرة العلم وجهد السنين إلى التي أوصاني بها المولى خيرا وبرا إلى التي حملتني وهنا على وهن إلى التي سهرت الليالي لأنام ملأ أجفاني إلى منبع الحب والحنان إلى رمز الصفاء والوفاء والعطاء إلى أمي الغالية : سعدة حفظها الله ورعاها وأطال في عمرها .

إلى روح أبي الزكية الطاهرة إلى رمز العز والشموخ إلى أبي العزيز امحمد رحمة الله عليه .

إلى زوجي وكل أفراد عائلة لزعر .

إلى من قاسمني الأفراح إلى ، الشموع التي أضاءت البيت إخوتي الأعزاء :

فاطمة ، محمد ، ام الخير ، يمينة ، حورية ، عيشة ، جمال ، موسى ، سامية ،

أدامهم الله في حفظه .

إلى الأخت العزيزة والزميلة التي قاسمتني هذا العمل المتواضع " زراولة العالية "

.

إلى اللواتي عرفت معهن معنى الصداقة الحقيقية : حورية ، سعاد ، مروة ، سميرة ، سعاد ، نادية ، فايزة ، سمية .

إلى من يحبهم قلبي ولم يذكرهم قلمي ولساني إلى كل هؤلاء جميعا أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع وإلى كل من تسكنه روح العلم والمعرفة .

شـــريـفة

قـــــــائمـــــــــة المـــــختـصرات

العـــــربـيـة	الفـــــرنـــسـيـة
- ط : طبعة - د ط : دون طبعة - ج : جزء - د.س : دون سنة نشر - د ب : دون بلد نشر - م : ميلادي - ه : هجري - ح ع 1 : الحرب العالمية الأولى - ص : صفحة - ص ص : من الصفحة إلى الصفحة - تر : ترجمة	- P : page

المقدمة :

أدت الحروب الصليبية إلى فتح أبواب أسواق التجارة في الشرق ومهدت لقيام العلاقات التجارية والاقتصادية بين الشرق والغرب ، وسعت المدن الإيطالية وخاصة البندقية إلى احتكار تجارة الشرق وقد عادت عليهم بالأرباح والثروة .

فقد ساهمت عدة عوامل ودوافع منها الاقتصادية والدينية وحتى السياسية في ظهور الكشوف الجغرافية التي تعد حركة بشرية امتدت من أوروبا عبر البحار لتطوف العالم ، كما أن الأوربيين وخاصة الإسبان والبرتغال كانت لديهم معلومات يستطيعون جعلها ميدانا للتبشير بالمسيحية الكاثوليكية والتوغل فيها عن طريق الدين وكأهداف موجهة ضد المسلمين .

كما أن هذه الكشوفات كانت مشمولة برعاية سياسية من قبل ملوك الأمم الأوروبية التي كانت تقوم بتشجيع الرحالة ودعمهم ومدهم بما يحتاجونه من أموال ومتاع وسلاح وللكشوف الجغرافية آثار ونتائج على أوروبا والعالم الإسلامي ، ولقد كان الطابع السائد على الرحلات الجغرافية طابع ذا توجه ديني وتجاري مهد بذلك إلى الاستعمار السياسي .

ومن خلال اطلاعنا على بعض المواضيع شد انتباهنا هذا الموضوع الذي يدور حول فكرة الكشوف الجغرافية ودورها في الحركة الاستعمارية في الوطن العربي ، وكانت جملة من الأسباب والدوافع التي حفزتنا لدراسة هذا الموضوع الذي يشمل أحداث تاريخية مثيرة للاهتمام صاغت تاريخ أوروبا الحديث وأثرت على المجتمعات الأوروبية والعربية .

ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع كذلك هي :

الرغبة في الاطلاع على خلفيات الكشوف الجغرافية البرتغالية والاسبانية على العالم بصفة عامة والعالم العربي بصفة خاصة .

وكذلك معرفة ما إذا كان للعرب نفس المكانة الإستراتيجية التي هم عليها اليوم ومدى التغيرات التي طرأت على المنطقة العربية .

ومعرفة إلى أي مدى ساهم العرب تصديهم للاستعمار الأوروبي خلال القرن 16 م .

ولمعالجة بحثنا هذا طرحنا إشكالية تمحورت حول مفهوم الكشوفات الجغرافية الاسبانية والبرتغالية ودورها في ظهور الحركة الاستعمارية ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر فقد أرفقنها بمجموعة من التساؤلات الفرعية وهي :

- الكشوفات الجغرافية البرتغالية والاسبانية بين الكشف الجغرافي والاستغلال والاستعمار ؟
- إلى أي مدى أثرت الكشوفات الجغرافية على الحركة الاستعمارية في الوطن العربي ؟
- ما هي دوافع وأسباب الكشوفات الجغرافية ؟
- كيف كان مسار الكشوفات الجغرافية البرتغالية والاسبانية ؟
- ما هي الآثار الناتجة عن الكشوفات الجغرافية ؟
- ما المقصود بالكشوفات الجغرافية ؟ وفيما تمثلت ؟
- ما هو الفرق بين حركة الكشوف الاسبانية والبرتغالية ؟
- هل للكشوف الجغرافية دور في ظهور وانتشار الاستعمار ؟
- ما هي السياسة التي اتبعتها كل من اسبانيا والبرتغال في الوطن العربي ؟
- وكيف كان رد فعل وموقف المسلمين من هذا الاستعمار ؟

وقد احتوى بحثنا على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، فصل تمهيدي تحدثنا فيه عن مفهوم الاكتشافات الجغرافية الأوروبية أسبابها ودوافعها وأهدافها .

أما الفصل الأول منها فخصصناه للحديث عن الاكتشافات الجغرافية البرتغالية واستعرضنا فيه التعريف بمملكة البرتغال ، والأسباب التي جعلت البرتغاليين يكونون هم السباقين في مجال الكشف الجغرافي ، وكذلك العوامل التي شجعت على القيام بهذا الكشف وكذلك تعرضنا لهذا الفصل على أهم الرحلات البرتغالية وعلى النتائج التي ترتبت عنها .

أم الفصل الثاني فقد تناولنا فيه الاكتشافات الاسبانية ، وأهم الرحلات التي قام بها الاسبان وتطرقنا في هذا الفصل كذلك إلى الفرق بين حركة الكشوف الجغرافية الاسبانية والبرتغالية وإلى أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الاكتشافات ومدى تأثيرها على العالم الإسلامي وعلى أوروبا .

أما الفصل الثالث والأخير منها فقد عالجنا فيه علاقة الكشوف الجغرافية الأوروبية بظهور الحركة الاستعمارية في الوطن العربي وآثارها وقد تحدثنا فيه كذلك على دور الكشوف الجغرافية في ظهور الاستعمار وتطرقنا كذلك إلى مفهوم الاستعمار ودوافعه وأسبابه وإلى السياسة الاستعمارية التي اتبعتها كل من اسبانيا والبرتغال في البلاد العربية ، والمقاومة العربية ضد هذا الاستعمار وإلى النتائج التي خلفها هذا الاستعمار على البلاد العربية .

أما الخاتمة فقد تضمنت ما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات واحتوت على جملة من الأفكار والاستنتاجات العامة التي تمثل العناوين الكبرى لهذه الدراسة .

وفي سعينا للإجابة عن الإشكالية الرئيسية التي طرحنها مسبقا والعمل على معالجة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي الذي مكننا من تتبع الأحداث التاريخية من خلال استنقائها من المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها كما لم تخل هذه الدراسة من التحليل والمناقشة متبعين فيها المنهج التحليلي من خلال التطرق إلى بعض الأحداث والمواقف ومناقشتها .

وأهم المصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا هي : أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس ، الذي حققه وترجمه مصطفى محمد : بدائع الزهور في وقائع الدهور يذكر بالتفصيل الاستعمار البرتغالي للخليج العربي بالإضافة إلى مصدر جون جوردن لوريمر : دليل الخليج وكذلك كولين ماكيفيدي ، ترجمة مختار السويقي : أطلس التاريخ الإفريقي ، وإي إتش غومبريتش ، ترجمة ابتهال الخطيب : مختصر تاريخ العالم .

كما اعتمدنا على عدة مراجع أساسية منها : يوسف نصر السيد : الاكتشافات الجغرافية البرتغالية والاسبانية بين الاستغلال والاستعمار ، وعمر عبد العزيز عمر : دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، وكذلك عبد الحميد البطريق وآخرون : التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا وغيرها .

وخلال دراستنا للموضوع واجهتنا مجموعة العراقيل والصعوبات التي نذكر منها : قلة المصادر التاريخية لهذه الفترة ، وعدم احتوائها المكتبة الجامعية للكتب المتناولة لهذا الموضوع ، وكذلك تداخل الأحداث التاريخية ، وكذلك العامل الزمني وهذا بارتباطنا بتحديد زمني معين لتقديم هذا العمل مع التزامات الدراسة الأخرى .

وفي الأخير بالرغم من هذا تمكنا من تجاوز هذه العقبات وتقديم هذا العمل المتواضع الذي نرجو أن يكون في المستوى إن شاء الله .

الفصل التمهيدي : الاكتشافات الجغرافية

1-1 – تعريف الكشوفات الجغرافية

2-1 – أسباب ودوافع الكشوفات الجغرافية

أ – الأسباب السياسية

ب – الأسباب الاقتصادية

ج – الأسباب الدينية

3-1 – أسباب ودوافع أخرى

أ – النزعة القومية

ب – نتائج عصر النهضة

ج – البحث عن مناطق نفوذ وتوسيع

د – الدوافع العلمية

و– القضاء على الاقتصاد الإيطالي

هـ – تشجيع الطبقة المتوسطة على بعث حركة الكشوفات

4-1 – أهداف الاكتشافات الجغرافية

الفصل التمهيدي : الاكتشافات الجغرافية

كانت حركة الكشوف الجغرافية التي تم جزء كبير منها في القرن الخامس عشر هي أهم نتيجة عملية للنهضة الأوربية ، فقد تمكن الملاحون الأوربيون من التوصل إلى نتائج هامة في مجال الكشف الجغرافي وفي تاريخ العالم ... ولقد كانت معلومات أهل أوروبا عن العالم ضئيلة ومعظمها من نسيج الخيال وخاطئة في مجموعها [1]... ومحتكرة في حد كبير على العائلة الدينية ... وتتضح أهمية هذا الكشوف إذا أدركنا كيف كانت هذه المعلومات ، فقد كان الأوربيون يستمدونها من المناطق الداخلية والبعيدة في آسيا وإفريقيا مما كان يردده الإيطاليون على موانئ مصر والشام . [2]

1-1 – تعريف الكشوفات الجغرافية :

يطلق لفظ "الاكتشافات الجغرافية " على الرحلات البحرية التي قام بها الأوربيون خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر عن طريق اكتشافهم للطريق البحري إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح للقارة الإفريقية وكذلك اكتشاف العالم الجديد واستغلال الموارد ، وقد أسفرت حركة الكشوف الجغرافية عن نتائج عديدة كان لها الأثر بالغة الأهمية في حياة أوروبا والعالم في العصر الحديث ، فقد ساعد الاتصال بين أوروبا والعالم الجديد على تقدم المعارف والعلوم ، فقد فتحت الكشوف الجغرافية أفاقا واسعة أمام العلماء لمزيد من البحث العلمي ، وترتب على ذلك تعديل كثير من النظريات التي سادت في أوروبا في العصور الوسطى .[3]

---

[1]– عمر عبد العزيز عمر : التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث ، دار المعرفة الإسكندرية ، مصر ، 1992 ، ص80

[2]– شوقي عطا الله الجمل ، عبد الله عبد الرزاق : تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة ، المطبعة الذهبية ، 2000 ، ص21 .

[3]– صالح حسن العكيلي : الوجه الآخر للنهضة الأوروبية . (محاضرة في تاريخ أوروبا في عصر النهضة 1453-1789) ، ط1 ، مؤسسة الوراقة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2006 ، ص 33 .

وظهور نظريات جديدة تدعو إلى حرية البحث واستخدام المنهج العلمي القائم على التجربة وقد تضافرت عدة أسباب ودوافع أدت لحدوث الاكتشافات الجغرافية ترتب عنها تكوين إمبراطوريات استعمارية وظهور الرأس مالية وتعد كذلك الكشوفات الجغرافية مظهرا من مظاهر روح المغامرة وإثبات الذات لدى الفرد الأوروبي ، وهي في الوقت نفسه صورة من صور التوسع الاستعماري في الشرق ، وهو تم التعبير بصيغته الاستيطانية على أيدي المستكشفين .[1]

1-2 – أسباب ودوافع الكشوفات الجغرافية :

هناك العديد من الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور حركة الكشوف الجغرافية وتنشيطها وتتلخص هذه الأسباب والدوافع فيما يلي :

أ – أسباب سياسية :

ظهور الوطنية الحديثة وهي الدول التي توحدت بها السلطة كإسبانيا والبرتغال وهولندا وانجلترا وفرنسا وروسيا ، وشعرت هذه الدول بالعزة القومية وسعت لبسط نفوذها على الأمم والشعوب الأقل ثقافة وتنظيما منها وذلك عن طريق الاستعمار خارج القارة الأوروبية . وبهذا ظهرت حركة الكشوف التي كان يمكن قيامها في غيبة الدول القومية فعندما قامت هذه الدول قامت معها الكشوف الجغرافية ، فكان لا يمكن قيامها في ظل النظام الإقطاعي مع احتياجها للمال والسلاح والأساطيل والقوات . [2]

[1]– صالح حسن العكيلي : المرجع السابق ص 33 .

[2]– محمد سيد اشرف صالح : أصول التاريخ الأوروبي الحديث ، ط1 ، دار ناشري للنشر الإلكتروني ، الكويت ، 2009 ، ص 68

ب – الأسباب الاقتصادية :

كان سبب لكل هذه الطواف حول العالم الذي لم يسبق له مثيل ... هو الجوع والحاجة إلى المعادن النفيسة والتوابل والذهب والحديد والقرنفل من الشرق الأقصى ... وكانت هذه المناطق تتوفر بهذه الثروات ... فالبندقية حققت أرباحا خيالية من تجارتها للشواطئ الأوروبية . [1]

نطق إلى ذلك ما ترتب على النهضة الأوروبية وازدياد الحاجة إلى تلك المعادن ، وقد ارتبط ذلك بزيادة معدلات النمو السكاني وازدياد الطلب على هذه المنتجات ، وربما كانت الحاجة إلى سك النقود بمعدلات أكبر نتيجة لزيادة التجارة من ناحية وتناقص احتياطي الدول الأوروبية من الذهب والفضة من ناحية أخرى أحد أسباب خروج الأوربيين من القارة وعندما بدأت الكشوف في مراحلها الأولى أقيمت النقاط التجارية على السواحل لمبادلة المنتجات ثم ما لبث أن تحولت إلى تنافس عنيف لاستغلال ثروات الأرض الجديدة فأصابت حمى البحث عن الذهب والفضة الاسبان في أراضي الأمريكيتين وكان العاج وريش النعام وسن الفيل والرقيق وثروات افريقية ذات قيمة كبيرة ، ما لبثت ان جاءت شركات الزراعة العلمية للموز والكاكاو والنخيل والبن والمطاط وفي سبيل ذلك دمر الأوربيين في كثير من الحالات الثروات الطبيعية للأراضي التي تم اكتشافها ، وتأسست مجموعة شركات الهند الشرقية البريطانية والفرنسية والهولندية وهي أساس ما يعرف حاليا بالشركات المتعددة الجنسيات ولا يخفي بالطبع أن الهيمنة على طرق التجارة البرية والبحرية كانت دافعا اقتصاديا مهما في سبيل الكشف . [2]

[1]– فاروق عثمان إباضة : " تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ص 145 .

[2]– عيسى علي إبراهيم : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، 2000 ، ص 96 .

وقد ظل الأوربيون يبحثون عن طريق الشرق الذي لا يمر بالأراضي الإسلامية عدة قرون وأدى بهم ذالك لاكتشاف الأمريكيتين والدوران حولهما ومحاولة اختراق المناطق القطبية .

ولاشك أن المنافسة في سبيل السيطرة على طرق التجارة أثمرت عن الدوران حول إفريقيا ومعرفة نهايتها الجنوبية . [1]

ج – الأسباب الدينية :

رغبة البابوية ودول أوروبا في نشر النصرانية ، حيث كانت دولتا اسبانيا و البرتغال من أسبق الدول الأوربية الغربية الحديثة التي قامت بالكشوف الجغرافية حتى أن طابع نهضتهما اتسم في ذلك وكانت الأسباب الدينية تأتي في المحل الأول وقد لعبت تلك الأسباب دورا مهما في دفع هاتين الدولتين للقيام بالكشوف الجغرافية ، لأن اسبانيا والبرتغال بلدان مسيحيان فيهما روح صليبية قوية وجياشة .

كان البرتغاليون يرون أن الكشوف الجغرافية يجب أن تعمل على تحويل المسلمين في غرب إفريقيا وغيرها من المناطق إلى المسيحية الكاثوليكية ، وكان هذا من أهم أهداف قيامها بحركة الكشف الجغرافي . [2]

[1]– عيسى علي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 96 .

[2]– فائق لمهبوب ، محمد سيد عمران : " تاريخ العالم الحديث والمعاصر "، د ط ، الشركة العربية المتحدة للنشر والتوريد ، القاهرة ، مصر ، 2008 ، ص 19 .

وكذلك من خلال الصراع الكاثوليكي البروتستانتي ولامتصاص تلك الشحنات بين المذهبين تولدت لدى بعض الدول الرغبة في نشر المسيحية في البلاد المكتشفة ... فعقب الحروب الصليبية التي خاضتها اسبانيا ضد المسلمين ، وكان من نتائج انتصار الأسبان على المسلمين زيادة تعصبيهم الديني وحماسهم الوطني وقد كانت تمدهم تمدهم بالمال والمساعدة من أجل نشر المسيحية بين الشعوب البلاد المكتشفة تصطحب معها المبشرين بهدف نشر المذهب الكاثوليكي لا كما تدعيه الدول المستعمرة بنشر الحضارة ، وإنما القيام بعملية التبشير فيما يخص الجانب الديني .[1]

وفي اسبانيا عام 1469 تزوج فرديناند من إيزابيلا فتكونت اسبانيا الموحدة ، وقيام المملكين الكاثوليك بمحاربة من لا يدين بالمذهب الكاثوليكي ، وكانت أول الأعمال التي قام بها الاستيلاء على غرناطة وإجلاء المسلمين عن بلاد الأندلس وتكوين مملكة اسبانية قوية محاربة للإسلام ويذكر أن البابا نيقولا الخامس (1447-1455) كان يود عودة بيت المقدس المسيحية ، فأرسل لملك البرتغال مرسوما باباويا ما يعرف "بخطبة الهند" لإرسال حملة صليبية نهائية للقضاء على الإسلام ، وتطويق البلاد الإسلامية بالتعاون مع الملوك المسيحيين في إفريقيا وآسيا .[2]

[1]- عبد الفتاح حسن أبو علية : " تاريخ أوروبا الحديث " ، د ط ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، العربية السعودية ، 2007 ، ص 70

[2]- محمد سيد اشرف صالح ، المرجع السابق ، ص 69 .

1-3- يضاف للأسباب والدوافع السابقة الذكر عوامل أخرى نذكر منها :

أ- نتائج عصر النهضة :

جاء عصر النهضة بأفكار جديدة وروح جديدة للبحث والعلم والتنقيب ، وضع الأشياء تحت التجربة للوصول إلى قوانين وقد تقدمت علوم الفلك والعلوم البحرية حتى تم اختراع البوصلة مما كان له اكبر الأثر في تشجيع الطبقة البرجوازية الأوربية على المغامرة البحرية وعندما ثبت نجاح هذه الاختراعات لجأت هذه الطبقة إلى تكوين أساطيل قوية تعمل في خدمة مصالحها وخاصة الاستعمار والآثار التي نتجت عما سبق هو اكتشاف كروية الأرض الذي أدى إلى اكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية ومن بعد ذلك استراليا والقطبين .[1]

ب- البحث عن مناطق النفوذ والتوسع :

فالنهضة الأوربية وفرت الظروف المعيشية الاجتماعية والثروة الاقتصادية مما زاد في النمو الديمغرافي في أوروبا ففكروا في العثور على مواطن خارج بلدهم فقد كانت هذه الأعداد الزائدة خطرا يهدد الدولة في العصر الحديث ، إذ أنها تؤدي إلى زيادة عدد العاطلين عن العمل بها ومن ثم وجدت هذه الدول أن احتلال بعض قد يخفف عن كاهلها هذه المشكلة إلا أن هذا كان له أسوء الأثر على البلاد المستعمرة وأصحابها. [2]

[1]- عبد العزيز سليمان نوار ، محمود محمد جمال الدين : " التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى " ، د ط ، دار الفكر العربي ، 1999 ، ص 57 .

[2]- نفسه ، ص 57 .

ج- الدوافع العلمية :

لا تخلو الكشوف الجغرافية من الدوافع العلمية التي اقترنت بدوافع اقتصادية ، وتتمثل هذه في البحث عن الجديد وتشجيع الجامعات والجمعيات للباحثين وهو أمر اتفق مع روح عصر النهضة التي سادت في أوروبا خلال تلك الفترة وأرسلت الدول الأوربية بعثات كشفية لدراسة الأراضي الجديدة بشكل متكامل وأقام علمائها في هذه المناطق سنين عدة وأصبح البعض منهم متخصصا في غرب إفريقيا ، أو حوض النيل أو جنوب القارة وبذلوا في ذلك جهودا ضخمة وتركوا مجلدات تصف هذه المناطق وصفا كاملا وكان هناك علماء في الجغرافيا البشرية .[1]

د- القضاء على الاقتصاد الإيطالي :

لقد كانت أوروبا في حاجة ماسة إلى السلع الشرقية من توابل وبهارات وعطور وعقاقير وكانت هذه المنتجات تأتي عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر إلى مصر أو مدن الشام ومنها تنقل إلى المدن الإيطالية ومن هناك يجري توزيعها على مختلف بقاع أوروبا .

إلا أن هذه الطرق لم تكن تخلو من المخاطر والمصاعب بالإضافة إلى سيطرة العرب والبنادقة على هذه الطرق فظهرت الرغبة لدى إسبانيا والبرتغال في ضرب هذا الاحتكار التجاري ومما كانت الحروب الإيطالية ...[2]

[1]- عيسى علي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 96 .

[2]- فائق طهبوب ، وآخرون ، المرجع السابق ، ص 19 .

هـ- تشجيع الطبقة المتوسطة على بعث حركة الكشوف :

فلما تقدمت العلوم الفلكية والبحرية حتى تم اختراع البوصلة مما كان له أكبر الأثر في تشجيع الطبقة البرجوازية الأوروبية على المغامرة البحرية ، وعندما ثبت نجاح هذه الاختراعات لجأت هذه الطبقة إلى تكوين أساطيل قوية تعمل في خدمة مصالحها وخاصة الاستعمار ... واكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية ومن ذلك أستراليا والقطبين ... فكان لهذه الأخيرة جانب من الأهمية في إخراج هذه الدولة الوطنية الحديثة إلى الوجود ، فهي أمدتها بالأموال لدعم حكومتها وتشكل أجهزتها التنفيذية القوية تسعى إلى إيجاد الموارد الأخرى للاتفاق على متطلباتها المتزايدة ، وكان ذلك يأتي عن طريق التوسع الخارجي خارج حدود القارة وهو ما أدى إلى حركة الكشوف أو التوسعات الداخلية داخل القارة الأوروبية وهو ما أدى إلى الحروب الإيطالية وهذا لتنمية ركائزها ورغبة في الحصول على مصالحها الاقتصادية .[1]

1-4- أهداف الاكتشافات الجغرافية :

تعد الفترة مابين 1621م فترة الازدهار للكشوف الجغرافية ، في هذه الفترة نشط الأوروبيون في كشف مناطق عديدة في العالم ، وأصبح في مقدورهم الإبحار في أي مسطح مائي والعودة إلى موطنهم .[2]

[1]- عبد العزيز سليمان ، وآخرون ، المرجع السابق ، 58 .

[2]- عيسى علي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 96 .

وليست هناك فترة في التاريخ الأوروبي تماثل هذه الفترة من حيث أهميتها ، فقد أدت إلى تلاشي الكثير من الأفكار والنظريات الجغرافية الخاطئة سائدة في القارة خلال العصور الماضية إذ لم ترد أي إشارة في كتابات بطليموس على سبيل المثال عن الأمريكيتين أو المحيط الهادي .

وارتبط عصر الكشوف الجغرافية في أوروبا بعصر النهضة ، وفي بادئ الأمر لم يكن هناك جديد حول الرحلات أو الرغبة في رؤية أراضي جديدة والجديد هو النهضة البحرية التي تمثلت في ابتكار أدوات ملاحية جديدة ، وإدخال تحسينات كبناء سفن جديدة وتطوير الخرائط وذلك من أجل التوغل داخل المحيطات ، أو بمعنى آخر الوصول إلى أراضي جديدة تضيف إلى ثرواتهم المزيد .[1]

وقد حالت جهود المكتشفين بالنجاح ورسمت خريطة العالم التي تركت بصماتها على الكرة الأرضية كلها خلال قرنين من الزمن فقط ، فقد شهدت هذه الفترة إضافة أراضي جديدة وظهور الاستعمار والاستيطان في الأراضي التي فيما وراء البحار ، وجلبت هذه الأراضي ثروات جديدة ومنتجات لم تعرفها أوروبا من قبل ، إلى جانب فرص عمل قدمت لبعض الدول حلولا لمشكلات البطالة .

ولقد شهدت العقوبات المتأخرة من العصور الكشفية اهتماما متزايدا بإفريقيا مما أدى إلى تدافع القوميات الأوروبية المختلفة لاقتحام إفريقيا وأطلق عليه التدافع نحو إفريقيا (scranble for africa).[2]

[1]– عيسى علي إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 96 .

[2]– نفسه ، ص 94 .

وكان من أهم أهدافهم المزعومة أداء رسالة الرجل الأبيض ويمكن تلخيص أهم الأهداف فيما يلي :

- جلب الحجارة والمعادن النفيسة
- التوسع الإمبراطوري
- نشر المعرفة العلمية
- نشر الديانة المسيحية
- جلب بعض المشتقات الحيوانية (جلود ، صوف ، عاج)

هذه الأهداف وما سبقتها من أسباب أدت بقوميات أوروبية كثيرة للتدافع نحو أجزاء الكشوف الجغرافية حيث كانت كل قومية تتباهى بجهودها الكشفية .[1]

[1]- عيسى علي إبراهيم ، المرجع السابق ، 94 .

الفصل الأول : الاكتشافات الجغرافية البرتغالية في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي .

1- التعريف بمملكة البرتغال .

2- أسباب ودوافع الكشوفات الجغرافية البرتغالية .

3- العوامل التي شجعت البرتغاليين على القيام بحركة الكشوف الجغرافية .

4- الرحلات البرتغالية :

أ- رحلة هنري الملاح .

ب- رحلة برثليمودياز .

ج- رحلة فاسكو داجاما .

5- أهداف الكشوفات الجغرافية البرتغالية .

6- نتائج الكشوف الجغرافية البرتغالية .

7- انهيار الإمبراطورية البرتغالية .

كانت البرتغال أول دولة بحرية قامت بسلسلة من المغامرات التي انتهت بكشف مواقع هامة وبلاد جديدة ، ساعدها على النجاح أن توفرت لها الأدوات اللازمة من علم وخبرة وسفن متطورة هذا بالإضافة إلى الانتفاع باختراع البوصلة البحرية والتعمق في إدراك حركات الكواكب والنجوم واختلاف الأجرام والاعتقاد بكروية الأرض وزيادة الاهتمام بعلم الجغرافيا .

1- التعريف بمملكة البرتغال :

ترجع الأصول الأولى لمملكة البرتغال إلى ولاية لوزيتانيا ، التي كانت تشمل في العصور القديمة المساحة الواقعة جنوبي جليقية التي تقع بجنب أو المحاذاة للساحل الأطلسي بين مصبي نهر دويرة ونهر وادي بانة ، وكانت في بداية الأمر صغيرة ذات طابع سياسي خاص .[1]

فإن مملكة البرتغال كانت كنتي أي إيالة مستقلة ، وفي سنة 711م استولى عليها العرب وأضافوا لممتلكاتهم بالأندلس ، ودامت بأيديهم إلى غاية سنة 1095م ، فقد انتزعها منهم هنري البورغوني وصار أميرا عليها تحت حماية ملك اسبانيا ، وفي سنة 1139م خرج ألفونسو ابن هنري من حماية اسبانيا واستقل بلقب الملك .[2]

[1] – محمد محمود أحمد النشار : " تأسيس مملكة البرتغال السياسية الخارجية لألفونسو هنريكو ملك البرتغال (1128 – 1185م / 522–581هـ) "، ط 1 ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، شارع يوسف فهمي اسباتن ، الهرم ، 1955 ، ص 90 .

[2] – خير الدين التونسي ، تقديم محمد الحداد ، " أقوام الممالك في معرفة أحوال الممالك " ، ج 1 ، د ط ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ،2012 ، ص ص 623 ، 624 .

كما يرجع الفضل في تأسيسها ونشأتها إلى فارديناند الأول ملك قشتالة (1535-1625) عندما انتزع بعض أراضي لوزيتانيا التي تقع بين نهرين أو نهري دويرة و منديجو وإلى ما بعد قلمرية من المسلمين وجعلها ولاية مستقلة تحت اسم البرتغال .[1]

ومن القرن الحادي عشر استطاعت البرتغال أن تنقض من كل كاهلها سيطرة قشتالة مع بداية حكم أسرة برجندي ، وفي عهد ملكها ألفونسو الأول تم طرد المسلمين من لشبونة وبإتباع ألفونسو الثالث هذه السياسة ثم طرد العرب من بلاد العرب سنة 1151م وقد توطدت علاقة البرتغال مع الكنيسة ورجال الدين حتى تشكلت فيما بعد إمبراطورية البرتغال البحرية .[2]

[1] – محمد محمود أحمد النشار : المرجع السابق ، ص 9 .

[2] – مفيد الزيدي : " موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة) (1500-1789م) " ، ج 2 ، ط 2 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2009 ، ص 41 .

2- أسباب ودوافع الكشوفات الجغرافية البرتغالية :

لقد دفع البرتغاليون للقيام بحركة الكشوف الجغرافية مجموعة من الأسباب نذكر منها ما يلي :

البرتغال كانت تتمتع بالأمن والاستقرار ، وبتحرير الإنسان فيها من القيود التي كان من الممكن أن تشل وتعطل تفكيره ونشاطه في تلك الفترة ، ففي مطلع عصر النهضة حدث انتعاش ذهني ، الذي ظهرت آثاره في القرن السادس عشر الميلادي ، بحيث ظهرت فيه الدولة الحديثة وقامت حركة الإصلاح الديني في أوروبا التي حررت عقل الإنسان وفكت قيوده ، وقد نتج عن هاتين الحادثتين حروب ، كان الهدف منها توسع هذه الدولة الحديثة على حساب غيرها داخل القارة الأوروبية وخارجها وذلك عن طريق القيام بحركة الكشوف الجغرافية .

وكذلك تطورت الحياة الاقتصادية في البرتغال من تجارة وصناعة وزراعة ، الأمر الذي أدى إلى زيادة الطلب على المعادن الثمينة خاصة معدني الذهب والفضة بصفتهما وسيلتا التبادل التجاري الوحيدتان والمتعارف عليهما في ذلك الوقت ، ومن المعروف أن مصادر الذهب والفضة كانت قليلة في تلك الفترة ، ولم تكن تفي بحاجة التجارة الدولية لذا أصبح من الضروري البحث عن مصادر أخرى جديدة لهذين المعدنين الثمينين .[1]

[1] – يوسف نصر السيد : " الكشوف الجغرافية البرتغالية والإسبانية حول العالم بين الاستعمار والاستغلال " ، د ط ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 2007 ، ص 3 .

بالإضافة إلى تطور صناعة بناء السفن في البرتغال بحيث أصبحت هذه السفن على درجة من القوة والمتانة ، بما كفل لها القدرة على مواجهة العواصف بل والتوغل في أماكن مجهولة من المحيطات ولمدة طويلة ولمسافات أبعد من الشواطئ .

انتشار أفكار جديدة حول كروية الأرض خاصة بعد ظهور كتاب إيلي ile الذي صدر عام 1415م ، فبع أن قرأه الناس اعتقدوا بوجود بحر واحد تقع على شواطئه كل من أوروبا وإفريقيا وآسيا وكانت هذه الأفكار هي بداية الانطلاق للمغامرات التي تمت في تلك الفترة .[1]

إضافة إلى ذالك سيطرة العثمانيين على الشرقين الأدنى والأوسط ، وتحكمهم في الطرق الرئيسية التي تمر منها السلع التجارية الشرقية إلى أوروبا ، وهذه السلع هي التوابل والعنبر وماء الورد والعقاقير الهندية والصمغ والأقمشة الحريرية والأحجار الكريمة والعاج ، والتي كانت تعرض جميعها في البندقية لبيعها للتجار الألمان والانجليز وغيرهم .

وكذلك محاولة البرتغال ومعها بعض الدول الأوربية التخلص من الرسوم الجمروكية الفادحة التي كانت تفرضها سلطات المماليك في مصر والشام عند عبور تلك السلع التجارية لأراضيها ومنها ايطاليا ، وضرب أوروبا للاحتكار الذي كان يمارس من جانب كل من جمهوريتي البندقية وجنوة الايطاليتين لتجارة الشرق .[2]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 109 .

[2] – نفسه ، ص ص 11 ، 109 .

رغبة بعض التجار من رعايا دول أوروبا من غير الايطاليين النزول إلى ميدان التجارة الشرقية والحصول لأنفسهم على جزئ من أرباح تلك التجارة .

البحث عن المعادن الثمينة كالذهب والفضة خاصة بعد أن أشيع عن وجودها في ساحل إفريقيا ، ومن الجدير ذكره أن قوة الدولة في هذه الفترة كانت تقاس بقدر ما تملكه من هذين المعدنيين ولا تقاس بكبر المساحة أو كثرة عدد سكانها .[1]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص ص 11 ، 109 .

3- العوامل التي شجعت البرتغاليين على القيام بحركة الكشوف الجغرافية :

الذي ساعد البرتغاليين على القيام بحركة الكشوف الجغرافية ما تلقوه عن فنون البحارة وما تعلموه عن بناء السفن الكبيرة ، كما وقعت في أيدي هنري الملاح Don Hanrique (1394-1460) الذي تزعم حركة الكشف الجغرافي ، نسخة من كتاب ماركو بولو Marco Polo من (1281-1291م) وما كتبه في وصف الصين وما تتمتع به من ثروات واسعة فقد أدى هذا العامل إلى زيادة المعلومات الجغرافية وذلك نتيجة لرحلة ماركو بولو الذي شجع بذلك العديد من المغامرات من أجل القيام برحلات استكشافية .[1]

كما تلقى البرتغاليين فنون الملاحة عن الجنويين الذين قاموا بأول محاولة للطواف حول سواحل إفريقيا .

ظف إلى ذلك سيطرة الروح الصليبية على هنري الملاح المنتشرة في ذلك الوقت لأن البابا قد وصفه جندي من جنود المسيح ليقضي على أعداء الله وأعداء المسيح من المسلمين الكفرة .

كما تميز وتحلى الملاحون البرتغاليون بالشجاعة وحب المغامرة ودعم اهتمامهم بالخرافات التي كانت سائدة آنذاك حول شواطئ إفريقيا ، خاصة في منطقة معينة فكل من وصل إليهم لم يعد وأحرقته المياه التي تغلي .[2]

[1] - محمد سيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 113 .

[2] - نفسه ، ص 113 .

كما أسس هنري الملاح أكاديمية بحرية ومرصدا على الطريق الجنوبي لشاطئ البرتغال وزودها بمجموعة ضخمة من المراجع والخرائط واستعان واستقدم بقوة العلماء والجغرافيين وكان يجمع المعلومات من كل ربان عائد من رحلة بحرية ، وضعت كل هذه المعلومات في ملفات خاصة ، كما بذل هنري جهد كبير في تحسين وتطوير بناء السفن التي أصبحت حمولتها تتراوح بين ثمانين ومائة طن .[1]

ومن العوامل كذلك ظهور البوصلة البحرية المشتقة من فكرة الإسطرلاب ونظريته والريادة النورمانية والبرتغالية في الوصول إلى عرض المحيط الأطلسي واكتشاف جزر الكناري وماديرا والأرورس من جهة ومعرفة الجزء الكبير من ساحل إفريقيا الغربي المطل على المحيط الأطلسي من جهة ثانية .

توقفت التجارة الجنوية مع القسطنطنية بعد استيلاء الأتراك عليها عام 1453م لأن البنادقة ألد أعداء وخصوم الجنويين ، كما كانوا قد تحالفوا مع العثمانيين ، مما دعا الجنويين أن يبحثوا على عن طريق تجاري آخر يقودهم إلى الصين ومناطق الشرق الأخرى عن طريق الغرب بدلا من طريق الشرق .[2]

[1] – محمد سيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 113 .

[2] – عبد الفتاح حسن أبو علية : " تاريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية " ، د ط ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1978م – 1407هـ ، ص 11 .

وكذلك الرغبة في الربح التجاري والذي لا يمكن أن يتم إلا بإيجاد طريق تجاري مع الشرق وغريزة حب الاستطلاع ورغبة بعض الناس في أن يعيشوا عيشة مفعمة بالحوادث والمغامرات ورغبة بعض الآخر في الهجرة إلى بلاد آمنة مأمونة يستطيعون فيها ممارسة شعائرهم الدينية .[1]

والذي أدى إلى نجاح البرتغاليين لكشوفهم الجغرافية استعانتهم بالملاحة التي عرفها العرب وسبقوا بها الأوربيين ، وجاء الملاحين أرجاء المحيط الهندي وبحر الصين وتجارتهم الملاحية الأصلية في البحر الأحمر والساحل الأوروبي والإفريقي للمحيط الأطلسي وغرب إفريقيا ، ولذلك اهتم البرتغاليون قبيل قيامهم بالمغامرات الكشفية بالحصول على هذه المعلومات بإرسال بعثات إلى البلاد العربية استطاعت الحصول على بعض الخرائط التي رسمها العرب للمحيط الهندي وبحر الصين .[2]

[1] – رأفت غنيمي الشيخ : " أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر " ، ط 1 ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 2006 ، ص 12 .

[2] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 408 .

4- الرحلات البرتغالية :

تعود الحملات البرتغالية الأولى للطواف حول ساحل إفريقيا إلى عام 1291م ، عندما أبحر أوغلينودي فيغالدومن جنوة للبحث عن الطريق البحري المؤدي إلى الهند إلا أن السفينتين التين شرعا بهما سرعان ما تحطمتا بفعل الأمواج مقابل الساحل الإفريقي فرق فيغالدو وجماعته ، ولم تجدد محاولته إلا في القرن الخامس عشر على يد هنري الملاح .[1]

أ- رحلة هنري الملاح :

ترتبط حركة الكشف والتوسع البرتغالي بحياة الأمير هنري الملاح* الابن الثالث لملك البرتغال يوحنا الأول وقد كان هنري متدينا شديد التعصب ، اهتم بالدراسات الجغرافية والفلكية فكان يجمع الخرائط الجغرافية ويدرسها دراسة دقيقة ، ويدرس الأجرام السماوية والطرق البحرية وحركة الرياح .[2]

كان الأمير هنري أول من فكر في البحث عن طريق موصل للهند بواسطة السياحة حول جنوب إفريقيا وقد لقب هذا الأمير بالملاح لأنه أعظم رجل كانت له اليد الطويلة في تقدم فن الملاحة .[3]

---

[1] – صلاح حسن العكيلي : المرجع السابق ، ص 38 .

*هنري الملاح : ابن يوحنا الأول ملك البرتغال ، كانت له رغبة عارمة في توسيع معلوماته عن إفريقيا وأشرف على تأسيس ترسانة للصناعة السفن ، ومدرسة بدراسة الجغرافيا الملاحية البحرية أنظر : عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1999 ، ص 18 .

[2] – عبد الحميد البطريق وآخرون : " التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا " ، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1929 ، ص 48 .

[3] – محمد حمدي علي : " الاكتشافات الجغرافية من القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن تاسع عشر " ، ط 1 ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ، يناير 1913 ، ص ص 10 ، 28 .

وكانت جنوب إفريقيا في كثير من الخرائط القديمة يرسم منحنيا من الجهة الجنوبية في الخليج فإنه إلى الشرق لأن العالم في ذلك الوقت كان لا يعرف شيئا عن جنوب إفريقيا إلا رأس الرجاء الصالح وقد أشار (بطليموس) إلى ذلك في كتاباته فقد قال : << إن جنوب إفريقيا على شكل نصف دائرة من رأس جردانوى إلى المحيط الأطلسي أو الأطلنطي >> وقد اعتقد هنري الملاح أن الوصول إلى الهند بواسطة الطريق يكون أقصر بكثير من غيره حينئذ أخذ في تنفيذ هذا المشروع الخطير .[1]

فقد قام هنري ببناء مدرسة كبيرة للملاحة في بلده ودعا إليها أعظم صناعي الخرائط وكبار الفلكيين والملاحين الذين كانوا في عصره وأنفق عليها من ماله كثيرا وبنا المراكب الكبيرة وجهزها بجميع أنواع آلات الملاحة في كل منها آلة البوصلة* وآلة الإسطرلاب* مما ساعد على تطوير الملاحة والمعرفة بالإبحار على المحيطات .[2]

[1] – محمد حمدي علي : المرجع السابق ، ص ص 10 ، 28 .

* البوصلة : هي جهاز لتعيين الاتجاه بالنسبة إلى قطبي الأرض ، يستعملها البحارة والطيارون والصيادون للتمكن من الانتقال من مكان إلى آخر ، تتألف من مؤشر ممغنط وتستخدم لحساب الراصية ، وتوفر البوصلة الأمن للمسافر والقدرة على الملاحة بصورة مطورة . أنظر : مجهول المؤلف : " أطلس العالم مغامرات مشوقة في الجغرافيا " ، مكتبة الصغار ، بيروت ، لبنان ، 1999 ، ص 67 .

* الإسطرلاب : آلة فلكية قديمة ، يطلق عليها العرب ذات الصفائح كان يستخدم في الملاحة العربية لتعيين زوايا ارتفاع الأجرام السنوية بالنسبة للأفق .

[2] – عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص 48 .

ورأى الأمير هنري الملاح الذي يعتبر البداية للكشوف البرتغالية أن يطهر الساحل الإفريقي المطل على البحر المتوسط من القراصنة ومن العرب المسلمين ، إذ شارك في عدة مغامرات حربية ضد بلاد المغرب في شمال إفريقيا بحجة القضاء على القرصنة في شمال إفريقيا ونجح في الاستيلاء على الشاطئ الشمالي الإفريقي .[1]

فقد شارك هنري رفقة والده في الاستيلاء على مدينة سبتة الواقعة على الشاطئ الإفريقي تجاه جبل طارق سنة 1415م ، وبعد فتحها عين هنري حاكما عليها وكان لهذا المنصب أثر على روح هنري المغامر المحب للقيام برحلات الجغرافية ، فسمع الكثير عن أخبار إفريقيا وخاصة بلاد غانا لذا فكر في الوصول إلى غانا ونشر الديانة المسيحية الكاثوليكية فيها ، وانتزع تجارتها من المسلمين كما أنه فكر في الاتصال بملك الحبشة القديس يوحنا معاضد المغاربة المسلمين .[2]

كان يرى أن الوصول إلى الحبشة التي كان يحكمها النصراني برسترجون prestergohn ، ويمكن أن يكون عن طريق السنغال ، وإذا تمكن هنري من الوصول إلى الحبشة يمكن عندها الوصول إلى البحر الأحمر ثم موانئ بلاد المسلمين والهند والصين دون أن يتعرض لأخطار الطرق التجارية البرية .[3]

[1] – عبد العزيز سليمان نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص 60 .

[2] – إسماعيل أحمد ياغي ومحمود شاكر : " تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر " ، ج 1 ، ط 4 ، مكتبات ونشر العبيكان ، الرياض ، 2006 ، ص 58 .

[3] – عبد الفتاح حسن أبو علية : المرجع السابق ، ص 74 .

ورأى هنري الملاح أن يستغل الرقيق من القارة الإفريقية والتجارة بهم لكي يحصل على الأموال لحكومته وإنشاء إمبراطورية برتغالية تحقق الرغبة الدينية ، وعدت مملكته في قلب إفريقيا حصنا للمسيحيين في تلك المناطق المجهولة .[1]

وقد نجح هنري الملاح في التجول في المحيط الأطلسي والكشوف الجغرافية عن بعض الجزر في ذالك المحيط وهي جزر الكناري والجزر الأخرى المنتشرة في المحيط الأطلنطي وجزر ماديرا والأزو والرأس الأخضر cape verde وأخذها البرتغاليون فيما بعد نقط انطلاق لرحلاتهم الكشفية جنوبا وغربا .[2]

وفي سنة 1434م استطاع الأمير هنري أن يقنع أحد قباطنة سفنه بالإبحار لاستكشاف ما وراء رأس بوجادور وبالفعل وصلت السفينة إلى هذا الرأس ثم تجاوزته جنوبا حوالي 1668 كلم ثم غيرت السفينة اتجاهها راجعة للبرتغال .

وتحقق في عام 1441م للبرتغاليين الاتصال الحقيقي بالبقاع الإفريقية وستخطو الأراضي الغنية بالغابات ونشطوا في الساحل الإفريقي ورسموا له الخرائط وعينوا عليها المعالم الجغرافية الرئيسية .[3]

[1] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 407 .

[2] – إسحاق عبيد : " موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية (عصر النهضة الأوروبية)" ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2007 ، ص 47 .

[3] – كولين ماكيفيدي : " أطلس التاريخ الإفريقي "، تر : مختار السويقي ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1987 ، ص 110 .

وبعد ذلك تطورت الأمور بسرعة فخلال عشر سنوات استطاعت السفن البرتغالية أن تقوم بزيارة مصب نهر السنغال ، كما استطاعت الوصول إلى منطقة سيراليون سنة 1460م .

وفي نفس السنة اكتشف البرتغاليون جزر خليج الرأس الأخضر ، ورسموا خرائط الساحل في السنغال وغامبيا ، واستطاع هنري أن يحقق حتى وفاته الوصول إلى ثلث الإفريقي الغربي ، وأقاموا عليه نقاطا محصنة كقواعد حربية وتجارية لهم .[1]

والأهم من هذا كله هو العائد الاقتصادي الذي عاد على البرتغال نتيجة للقيام بتلك الرحلات .

فمن نقطة انطلاق أقامها البرتغاليون في جزيرة أرجوان arguin المجاورة للشاطئ الإفريقي استطاعوا أن يتسللوا إلى الداخل ويقتطعوا لأنفسهم جزءا من تجارة الذهب التي كانت تتم عبر الطرق الصحراوية .

وأهم الأحداث التاريخية التي وقعت في إفريقيا في تلك الفترة هي تقلص نفوذ إمبراطورية مالي التي فقدت سيطرتها تماما على طريق جيتي تومبوكتو التجارية ، كذلك هجرت مملكة الشونا shone موقعها في زيمبابوي ، واتجهت شمالا وأسست مملكة أخرى هي مملكة موتابا mutapa .[2]

[1] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 408 .

[2] – كولين ماكيفيدي : المرجع السابق ، ص 110 .

ب- رحلة برثليموديا:

لما مات الأمير هنري الملاح 1461م توقفت الرحلات الاستكشافية البرتغالية لفترة بسيطة إلا أن ارتقى جون الثاني عرش البرتغال قرر أن يحرك الأمور من جديد ، حيث عهد إلى كبار التجار البرتغاليين لمتابعة رحلات الكشف ووضع الخرائط وأحد هؤلاء التجار هو *برثليموديا .[1]

وفي عام 1486م خطت الكشوف البرتغالية خطوة هامة في مجال الكشف الجغرافي إذ قام برثليموديا برحلة فقد أرسل على رأس ثلاث سفن لمحاولة الدوران حول القارة الإفريقية والوصول إلى مكان برستوجون ، ولقد فاقد رحلة دياز في أهميتها الرحلات السابقة وحملت في طياتها أعمالا أكبر للمستقبل فبعد أن وصل دياز إلى دائرة عرض تقع على مسافة 400 كلم شمال غرب رأس الرجاء الصالح دفعته الرياح بعيدا عن الساحل ، وعندما خفت حدة العواصف وجد الحماية في خليج موصل دون أن يعرف أنه تعدى رأس الرجاء الصالح واستمر بعد ذلك متتبعا الساحل صوب الشمال الشرقي إلى أن وصل إلى مصب نهر فش الكبير بالقرب من ميناء الفرد fort Alfred الحالية ، عندئذ أدرك دياز أنه قد تعدى الطريق الجنوبي لإفريقيا .[2]

---

[1] – عمر عبد العزيز :المرجع السابق ، ص 87 .

* برثليموديا : تاجر برتغالي قام في عام 1486م باكتشاف رأس الرجاء الصالح في جو عاصف وسماه رأس العواصف ، ولكن ملك البرتغال غير هذا الاسم باسم الرجاء الصالح . أنظر : محمد حمدي علي : " الاكتشافات الجغرافية " ، د ط ، ص 14 .

[2] – عيسى علي إبراهيم : المرجع السابق ، ص ص 144 ، 145 .

ولكن بحارته قد أعياهم الحر والمرض فتمردوا عليه ، وأجبروه على العودة مرة أخرى عند أبواب المحيط الهندي ، وفي طريق العودة ارتطمت سفينته برأس القارة فأطلق على البقعة اسم رأس العواصف .

ثم عاد إلى البرتغال عام 1488م مبشرا بأن الطريق إلى الهند أصبح واضح المالي لذلك رأى الملك أن يغير اسم الخليج أو الرأس وسماه رأس الرجاء الصالح لأنه بعث الرجاء في كشف الطريق البحري المباشر إلى الهند .[1]

ج- رحلة فاسكوداجاما (1496 – 1498) :

ومضى البرتغاليون بعد كشف رأس الرجاء الصالح في مغامرات الشرق لاحتكار منتجاته ومحاولة ضرب القوى الإسلامية بحرمانها من أسباب نموها وتطورها الاقتصادي .[2]

فبعد عشرة أعوام قام دياز بالإشراف على بناء أسطول صغير مكون من أربعة سفن جديدة وتجهيزها وإعدادها للقيام بالرحلة البرتغالية إلى الهند ، كما وضع دياز خطة إبحار جديدة لتحديد خط سير الرحلة البحرية عبر طريق جديد ، وفي سنة 1496م أصبح الأسطول جاهزا للقيام بالرحلة ، ولكن لسوء حظ دياز أنه كان ينتمي إلى أسرة من أصل متواضع في حين اختار الملك أحد رجال حاشيته ليقوم بهذه الرحلة وكان اسمه فاسكو داجاما ، الذي يملك سجلا بحريا يؤهله للقيام بهذه المهمة .[3]

[1] – إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص 47 .

[2] – عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص 53 .

[3] – كولين ماكيفيدي : المصدر السابق ، ص 122 .

فقد أبحرفاسكو داجاما على متن أربع سفن مزودة بالمئونة تكفي لمدة ثلاث سنوات ، وقد اتبع خطة سير الرحلة طبقا للخطة التي وضعها دياز ، لذا اتجهت بعثة صوب الجنوب مباشرة في عرض المحيط بعيدا عن الساحل إبتداءا من سيراليون الحالية وقد واصل داجاما التقدم جنوبا حتى دخلت سفنه في مهب الرياح الغربية التي دفعته صوب الشرق إلى رأس الرجاء الصالح .[1]

واصل الإبحار محاذيا السواحل الشرقية لإفريقيا ، حتى وصل إلى المركز التجاري العربي في كويليماني quelimmane ،وبهذا ارتبطت البرتغال لأول مرة بالنظام التجاري الذي كان سائدا آنذاك في مناطق شرق إفريقيا ، ولكن ذلك في مارس 1496م وصل داجاما إلى شرق إفريقيا وكان منها موزنبيق وممبسة ومالايندا ومن ثغر مالايندا اتجه إلى الهند بمساعدة ملاح من المنطقة ليعاونه في الاتجاه شمالا ، غير أنه قاد السفن البرتغالية في اتجاه خاطئ حتى وصل إلى جزر كاريمبا Islands karimba واعتقد أنه اليابس الإفريقي ، وصلت بعثة داجاما إلى ميناء ممباس وكان ميناء عربيا في كينيا الحالية ومنها اتجه شمالا بشرق حتى مالايندا حيث وجد جماعات من الهنود تسكن الميناء .[2]

لقد أقام داجاما صداقة مع ملوك مالايندا malinda الذي وافق على تزويد السفن البرتغالية بمرشد بحري يرشدها إلى طريق الإبحار نحو الهند .[3]

[1] – عيسى علي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 148 .

[2] – نفسه ، ص 150 .

[3] – عبد الحميد البطريق ، المرجع السابق ، ص 52 .

وكان اسمه " أحمد بن ماجد*" وفي غضون أربعة أسابيع وصلت السفن البرتغالية إلى الساحل الغربي للهند ، وهناك تمكن من الاتصال بأمراء الهنود وعقد معهم الاتفاقات التجارية ثم عاد إلى بلاده سنة 1499م وسفنه مشحونة بالتوابل والمنتجات الشرقية وبذلك تحقق للبرتغال كشف طريق بحري مباشر للهند .

فقد كان هذا الكشف أكبر ضربة اقتصادية وجهت للعالم الإسلامي وخصوصا في مصر إذ انتقل المركز التجاري العالمي من حوض البحر الأبيض المتوسط إلى المحيط الأطلسي .

وكان لهذا الانتقال أسوء الأثر في تجارة الدول التي تمس سواحلها حوض البحر المتوسط كالبندقية ومصر .

وهكذا انتهى العهد الذي در على العرب ثروات كبيرة ، أيام أن كانوا وسطاء ملاحة وتجارة بين الهند والصين من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى ، وحتى نهاية القرن الخامس عشر كانت السفن العربية تمخر غياب المحيط الهندي وتشاهد دائما في موانئه ، انتهى كل ذلك ليحل البرتغاليون محلهم في احتكار التجارة الشرقية ويطردونهم من البحار الشرقية ، بعد الاستيلاء على مراكز حصينة كبعض الموانئ والجزر التي يستطيعون منها إغلاق البحر الأحمر والخليج العربي في وجه الملاحة العربية .[1]

[1] – عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص ص 52 ، 53 .

* شهاب الدين أحمد : المعروف باسم ابن ماجد الملاح وهو عربي فقد ولد ابن ماجد في الجزيرة العربية ، وكان عبر فيها استطاع أن يؤلف ثلاثين كتابا في البحرية ، تناول فيها بالتفاصيل أصول الملاحة ووصف الطرق البحرية المعروفة وبالتالي فإن المعلومات التي أعطاها هذا المرشد كانت السبب الرئيسي المباشر لوصول السفن البرتغالية إلى الهند، أنظر : كولين ماكيفيدي : " أطلس التاريخ الإفريقي " ، تر : مختار السوفي ، 1987م .

أما في الهند فقد عمد البرتغاليون إلى امتلاك أجزاء من الساحل ووضعوا فيها بعض قواتهم البحرية والبرية ليخضعوا أمراء العرب والمسلمين في الهند ويجبروهم على توقيع معاهدات تلزمهم بقصور التجارة على البرتغاليين .[1]

[1] – عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص 53 .

5- أهداف الكشوف الجغرافية البرتغالية :

أ- **أهداف دينية** : أثناء الكشوف البرتغالية قام المكتشفون بهجمات دينية معينة ، ولم تقم بها الحكومات الأوروبية حيث حاول بعض رجال الحملات الكشفية البرتغالية أو بعض الرحالة البرتغاليون من نشر الديانة المسيحية في الهند عن طريق استخدام القوة كي يتخذ البرتغاليون من ذلك ذريعة أمام الرأي العام الأوروبي بأنهم جاؤوا إلى الهند من أجل نشر المسيحية ، كما أنهم استخدموا القوة ضد السكان الهنود وأجبروهم على اعتناق الديانة المسيحية وكان البرتغاليون يحاكمون الذين يرفضون الدخول في تلك العقيدة .

وإضافة إلى ذالك فإن في عام 1540م قام البرتغاليون بتدمير المعابد الهندوسية في الهند وأجبروا السكان على الدخول في النصرانية ، وكان هذا الإجراء يهدف إلى تغطية التواجد البرتغالي في الهند هو هدفا دينيا وليس هدفا اقتصاديا .[1]

ب- **أهداف اقتصادية** : رغبة البرتغاليين في الوصول إلى مصادر تجارة جنوب شرق آسيا والتي تتمثل في التوابل والحرير والقطن والأرز والمعادن الثمينة ، كما أنهم قاموا بإنشاء بعض المراكز التجارية العسكرية على طول السواحل التي مروا بها .[2]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 79 .

[2] – نفسه ، ص 81 .

تعقيب : ومن الجدير ذكره أن البرتغاليين لم يكن هدفهم الحقيقي نشر المسيحية بقدر ما كان هدفا اقتصاديا محضا ، فلو كان هدفهم دينيا لكان من الجدي بهم تنصير سكان إفريقيا الذين لا يزالون على العقيدة الوثنية .

كما أنه لم يذكر على سبيل المثال أن << رجل بعثة فاسكو داجاما وغيرها من البعثات الكشفية ، أنها حملت على متنها أي أفراد من قسس للقيام بمهمة التنصير بين شعوب المناطق التي وصلت إليها البعثات البرتغالية

ومن الأدلة كذلك أن فاسكو داجاما عندما وصل إلى مالندي عقد معاهدة مع سلاطينها كان من أهم بنودها :

مساعدة فاسكو دي جاما لسلاطين مالندي في حربه ضد سلطان ممبسة ، حيث قام فاسكو بضرب مدينة ممبسة بالقنابل بعد عودته من الهند وفي مقابل ذلك قدم سلطان مالندي كل التسهيلات لبعثة فاسكو دي جاما .

ج- أهداف أخرى :

يهدف البرتغاليون إلى مواجهة المسلمين حيث أنهم قاموا بحملات صليبية ضد المسلمين في شمال إفريقيا عام 1415م .[1]

وكذلك تهدف إلى استغلال موارد الشعوب الإفريقية والأسيوية ، المتمثلة في مختلف المنتوجات الزراعية والموارد الطبيعية الحيوانية والمعدنية لصالح الشعب البرتغالي وتهدف كذلك إلى المتاجرة بأبناء إفريقيا واعتبارهم ثروة تباع وتشترى أي تجارة الرقيق ، وساعدهم على ذلك امتلاكهم للقوة العسكرية والبحرية واستغلال أبناء تلك الشعوب لخدمة البرتغاليين حيث عملوا كعبيد .[2]

والهدف الأكثر أهمية من الكشوف البرتغالية هو الوصول إلى الهند والوصول إلى أرض القديس يوحنا أو قس حنا في شرق إفريقيا وهي مملكة مسيحية ، والوصول كذلك إلى موارد الثروة الإفريقية من أجل التجارة بها .[3]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص ص 81 ، 82 .

[2] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 406 .

[3] – رياض زاهر : " استعمار إفريقيا " ، د ط ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1960 ، 1960 ، ص 57 .

تهدف كذلك البرتغال إلى تكوين إمبراطورية تجارية ضخمة تمتد على طول الطريق التجاري المؤدي إلى بلاد الهند والشرق الأقصى وكذلك إلى القضاء على العقود التجارية للعرب المسلمين في هذه المناطق .[1]

كانوا يهدفون إلى تحقيق السيادة على الطريق البحري المؤدي للشرق واستغلال البرتغاليون لمستعمراتهم إلى أقصى ومقاومة أي حركة تمرد ، حيث اتسم نظامهم بالعنف والقسوة والقوة حيث كان على رأس كل مستعمرة وزير .[2]

والبحث عن الثروة المعدنية الثمينة والتي تمثل مصدر قوة اقتصادي حقيقي لكل من يمتلكها والبحث عن التجمعات المختلفة والمتنوعة التي تساعد وبشكل كبير الدول على أن توسع مناطق نفوذها .[3]

[1] – عبد العزيز سليمان نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص 60 .

[2] – شوقي عطا الله الجمل : " تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر "، ط 2 ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، 2009 ، ص 70.

[3] – محمد حمدي علي : المرجع السابق ، ص 17 .

6- نتائج الكشوف الجغرافية البرتغالية :

لقد كانت لحركة الكشوف الجغرافية البرتغالية أثار بارزة على مناطق المنكشفة بحيث تعددت نتائجها التي شملت الكثير من التغيرات التي طرأت على هذه المناطق لتعكس أثار أخرى غيرت من مفاهيم عديدة لتقود القارة التي وصل إليها إلى مواجهة الاستعمار الأوروبي والبحث عن مناطق النفوذ لا لشيء إنما لتحقيق المصالح والوصول إلى الأهداف ، ومن النتائج المحققة نذكر ما يلي :

إزالة كل المخاوف التي كانت تتردد عن الجزء الجنوبي من المحيط الأطلنطي وساحل إفريقيا وتعرف الأوربيين على الملاحة في المحيط الهندي .

فقد ترتب عن رحلة فاسكو دي جاما الدوران حول الطرف الجنوبي لإفريقيا واكتشاف طريق يؤدي إلى الشرق دون المرور بأراضي إسلامية ، هذه الحقيقة كان لها انعكاسات على موازين القوى السياسية بين الطرفين فيما بعد ، فقدت البلاد الإسلامية مصادرها من مصادر الحصول على المال وتدهورت الحركة على طريق التجارة عبر البلاد الإسلامية ، كما عرف أن قارة إفريقيا تنتهي في الجنوب وتدور صوب الشرق مرة أخرى ولا تتصل بالقارة الجنوبية كان متصورا من قبل .[1]

[1] – عيسى علي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 150 .

فقد حقق البرتغاليون ثروات طائلة من الخيرات التي جلبوها من بلاد الشرق الأقصى فقاموا ببناء أسطول قوي لحماية مصالحهم التجارية الجديدة ، ولكي تبقى التجارة حكرا في أيديهم عمل البرتغاليون على إقامة محطات وقواعد بحرية في مواقع مختلفة لتأمين مصالحهم فيما وراء البحار .[1]

فبدأ التنافس بين الدول الأوربية لاكتشاف طرق أخرى تؤدي إلى الشرق من ناحية ولاستعمار الأرض الجديدة من ناحية أخرى .[2]

حقق البرتغاليون نجاحا باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح ووصلوا إلى الهند من خلال هذا الطريق ، فاحتكروا بذلك تجارة الشرق والتجارة في السلع الإفريقية مثل تجارة الرقيق والذهب والفضة وأصبحت لشبونة مركزا رئيسيا للسلع الإفريقية ومنتجات الشرق فقامت البرتغال بتكوين شركات برتغالية للتجارة مع سواحل غانا وهذه الشركات تعمل في تجارة الرقيق والذهب .[3]

ظف إلى ذلك فقد جاء كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وما ترتب عليه من تحول التجارة إلى هذا الطريق البحري بدلا من الطريق البري عبر القسطنطنية والبحر الأحمر ضربة قاصية لاقتصاد الدولة العثمانية وللسلاطين المماليك في مصر ولحلفائهم أهل البندقية سادة التجار في حوض البحر الأبيض المتوسط .[4]

[1] – إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص 48 .

[2] – عيسى علي إبراهيم : المرجع السابق ، 151 .

[3] – شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص ص 69 ، 82 .

[4] – نفسه ، ص 48 .

فإن هذه القوى الثلاث التي أصيبت بالضرر حشدت أساطيلها للتصدي للأسطول البرتغالي في مياه الهند ، وكان الأسطول البرتغالي تحت قيادة الأدميرال ألميدا Almeida الذي اشتبك مع أسطول الحلفاء عند بلدة ديوا الساحلية على سواحل الهند ، وانتهت المعركة البحرية بانتصار البرتغاليين ، نظرا لأن سفنهم كانت أكثر تطورا وصمودا من سفن الحلفاء 1509م.

وبهذا النصر للبرتغال صاروا أصحاب اليد العليا على البحار الشرقية لمدة قرن كامل من الزمان لا ينازعهم في السيطرة أحد .[1]

تأسيس البرتغاليون مستعمرة حقيقية كبيرة في البرازيل وعينوا حاكما وادخلوا بها زراعة قصب السكر وتربية الماشية وأنشأو المصانع لصناعة السكر ، كما أسسوا المدن الجديدة واستخدموا الرقيق الذين جلبوهم من مستعمراتهم في إفريقيا للخدمة في المصانع والمناجم والمزارع واستخدموهم كعبيد عاملة لاستثمارها وتعميرها .[2]

ومن النتائج التي تحققت للبرتغاليين أيضا من تلك الرحلات الكشفية هي أنه أصبح لهم تجارة مع الشرق الأقصى ، إضافة إلى فتح أسواق لهم في غرب إفريقيا والبرازيل ، فحققوا بذلك ثروة طائلة كما رسخ وعزز البرتغاليون نفوذهم بشكل جيد في المناطق التي استعمروها فأقاموا بها المراكز التجارية التي أصبحت بعد ذلك من الممتلكات البرتغالية كما وضعوا أسسا لقيام إمبراطوريتهم البحرية .[3]

[1] – إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص 48 .

[2] – رأفت غنيمي شيخ : المرجع السابق ، ص 18 .

[3] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 71 .

ظف إلى ذلك تنظيم البرتغاليين الفعال للتجارة البحرية الساحلية ،واضمحلال موانئ البحر المتوسط وانهيارها بعدما كانت من أكبر موانئ العالم ازدهار وشهرة ، مقابل ازدهار موانئ أوروبا الغربية وتطور أساطيلها البحرية التي مكنها من الاستيلاء على المستعمرات التي كانت مصادر للمواد الأولية اللازمة لتلك الدول الأوروبية ، وكانت تلك المستعمرات تمثل أهم الأسواق التجارية الاستهلاكية للمنتج الصناعي الأوروبي الزائد عن حاجة السكان .[1]

وقد أدى ذلك إلى نشوب الصراع الحربي بين الدول الأوربية خاصة عندما تضاربت المصالح فيما بينها ، وقد نتج عن هيمنة الأوربيين على تجارة الشرق انهيار جمهورية البندقية ، كما قام البرتغاليون من حرمان العرب عامة والمغاربة المسلمين خاصة من ممارسة التجارة في التوابل ، فعندما وصل البوكيرك إلى الهند قرر استئصال شأفة العرب والمغاربة .

تأثر البرتغاليون بما شهدوه في بلاد الشرق وانعكس ذلك جليا في أسلوبهم المعماري الجديد الذي لا تزال بقاياه إلى يومنا هذا ، فقد تأثروا بالأبنية الخاصة بالفن المعماري العام على مدى قرون من الزمن فقد زخرفت الكنائس والقصور والحصون التي بنيت في القرى والمدن.[2]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 71 .

[2] – نفسه ، ص 72

ومن نتائج الكشوف الجغرافية البرتغالية كذلك إدراك الناس أن الحقائق الجغرافية القديمة التي تلقوها من أهل العلم منذ قرون ، والتي كان يؤمن بها الناس في كل الجامعات أصبحت تتناقض مع الحقائق الثابتة ، وظهور أجيال من الناس لا يسلمون بأن الحقيقة قد اكتملت .

كما أن الكشوف الجغرافية قد فتحت الكنيسة الكاثوليكية آفاقا روحية واسعة ، كما قدمت لملوك اسبانيا والبرتغال ملكا عريضا ومكنت للسادة النبلاء الاسبان قهر تنفيذ أحكام القانون والقضاء بين أهل البلاد الأصليين من الهنود .[1]

كما كان للكشوف الجغرافية أثرا واضحا في مقدرات ومصر وعالم البحر المتوسط اقتصاديا سياسيا دبلوماسيا واستراتيجيا أثناء القرن السادس عشر ميلادي .[2]

[1] – هربرت فيسر : نقل عصمت راشد وآخرون ، مراجعة أحمد عزت عبد الكريم : " أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوربية إلى النهضة الفرنسية " ، ط 3 ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، 2001 ، ص 14 .

[2] – فاروق عثمان أباضة : " أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعلى البحر المتوسط أثناء القرن 16 " ، ط 1 ، دار المعارف ، القاهرة ، ص 136 .

7- انهيار الإمبراطورية البرتغالية :

أخذ الضعف يدب في جسم الإمبراطورية البرتغالية ابتداءا من منتصف القرن السادس عشر ميلادي على وجه التقريب وقد أدت عدة عوامل إلى نهاتها ، حيث كان نظام الحكم الذي اتبعوه في أملاكهم ، فقد كان كل همهم الحصول على تجارة التوابل واحتكارها وأنهم بحاجة لتدعيم حكمهم عن طريق إنشاء محطات مسلحة لتمويل أساطيلهم .

ظف إلى ذالك فقد أقاموا في الشرق مراكز استعمارية على ساحل المالابار وحصلوا من السكان على الجزية ، ومنعوهم من التجارة واكتفوا بإقامة القلاع والحصون ومحطات مسلحة في سومطرة ومسقط وعدن وهرمز ومالطا أي محطات رئيسية على منافذ البحار ومسالكها وأقام البرتغاليون في الشرق الأقصى نظاما للحكم كان من أسباب انحلال إمبراطوريتهم حيث جمعوا السلطة كلها في شخص نائب الملك المقيم جوا والذي تمتع بسلطة مطلقة وقد كان يفرض الضرائب وينفق على الإدارة ويعامل الأهالي بقسوة رغم حاجتها إلى الأموال فضلا عن نشر المسيحية بالقوة ، وأنشأ البرتغاليون لهذا الغرض في جوا محاكم تفتيش عام 1560م .

وهذا ما يوضح لنا بأن عظمة البرتغال ظاهرية لم تستفد منها الإمبراطورية ، وظلت تعتمد على الرقيق ، وانتشر الفقر في البلاد وظلت لشبونة العاصمة غير مزدهرة طويلا رغم أنها مركز للتجارة داخل البلاد وخارجها .[1]

[1] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 414 .

أما أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار الإمبراطورية البرتغالية نذكر منها ما يلي :

1- النزاع بين البرتغال والدولة العثمانية ، وقد نجح العثمانيون بعض الشيء في تقليل الضغط البرتغالي على التجار العرب المسلمين والإمارات العربية الإسلامية الساحلية وحطم العثمانيون كل المحاولات الرامية إلى تكوين جبهة مسيحية ضد القوى الإسلامية في مناطق البحر الأحمر وإفريقيا الشرقية .

2- انتشار النفوذ الإسباني في البرتغال نفسها بعد أن استولى ملك اسبانيا فيليب الثاني على البرتغال سنة 1570م .

3- نظام الاستعمار البرتغالي السيئ الذي كان أحد الأسباب التي أدت إلى انحلال إمبراطورية البرتغال ، ومنها سوء معاملة الأهالي ، واحتكار التجارة .

4- تدهور أحوال البلاد الداخلية في البرتغال بسبب إرغام الفلاحين على الاشتراك في الرحلات الكشفية والحملات العسكرية والحروب ضد الهنود والمسلمين .

5- منافسة الهولنديين للبرتغاليين وسيطرتهم التدريجية على ممتلكات البرتغال في الشرق .

6- المحاولات البرتغالية لفرض المذهب الكاثوليكي النصراني على أهالي البلاد المكتشفة الذين ضلوا متمسكين بدينهم ومذهبهم .

7- كثرة المصروفات العسكرية التي كانت تنفق على الأسطول البرتغالي لحماية الاقتصاد الاستعماري .[1]

[1] – حسن أبو علية عبد الفتاح : المرجع السابق ، ص 82 .

الفصل الثاني : الاكتشافات الجغرافية الإسبانية

1- التعريف بالإمبراطورية الإسبانية .

2- الاكتشافات الإسبانية :

أ- كريستوف كولومبس ورحلاته .

ب- اكتشاف ماجلان .

ج- نتائج اكتشافات ماجلان .

3- نتائج الكشوف الجغرافية وأثرها على العالم الإسلامي وعلى أوروبا .

4- الفرق بين حركة الكشوف الجغرافية الإسبانية وحركة الكشوف البرتغالية .

أ- أوجه الاختلاف بين الكشوف الإسبانية والبرتغالية .

ب- أوجه التشابه بين الكشوف الإسبانية والبرتغالية .

ج- العلاقة بين الكشوف الإسبانية والبرتغالية .

لقد تمثلت روح النهضة في إسبانيا في توحيد أرجوانة وقشتالة آخر حكم للمسلمين في شبه الجزيرة الأيبرية متمثلا في غرناطة وكان هذا تمهيدا لروح المخاطرة الأكبر والبحث عن المجهول المتمثل في حركة الكشوف الجغرافية .

فقد شاركت اسبانيا ميدان الكشف الجغرافي متأثرة بنفس المؤثرات التي دفعت البرتغال إلى هذا الميدان ، وهي الرغبة في الاتصال بدول الشرق بطريقة بحرية مباشرة والاستيلاء على التجارة الشرقية والتحرر من سيطرة البندقية الاحتكارية ، فبينما اتجه البرتغاليون إلى الشرق لتحقيق تلك الأهداف اتجه الإسبان الغرب وقد تزامن ذلك مع رسوخ فكرة كروية الأرض .

1 – تعريف الإمبراطورية الإسبانية :

لقد كانت مملكة اسبانيا في القديم قبل الميلاد تابعة لدولة اليونان ثم استولى عليها القرطاجيون ، ثم في السنة ثالث وثلاثين ومائة قبل الميلاد (133 ق م) استولى عليها الرومانيون ، وصارت من الممالك التابعة لهم وبقيت بأيديهم نحو خمسة قرون ، ثم استولى عليها الأمة المسماة فزيغوت من أهل الشمال واستوطنوها إلى غاية سنة عشر وسبعمائة 710.[1]

[1] – خير الدين التونسي : المرجع السابق ، ص 515 .

فقد امتدت أيدي العرب إلى شبه الجزيرة الايبرية عن طريق موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وحكم العرب اسبانيا لما يقرب من أربعة قرون ، وفي الواقع فإن المقاطعات الاسبانية لم يكن لها شعور قومي يجمعها سوى الإخلاص للكنيسة الكاثوليكية الاسبانية .

وبعد أن قويت المقاطعات المسيحية عملت على ازدياد عددها على حساب المقاطعات الباقية الإسلامية ونمو ذلك إلى أن تم إجلاء العرب نهائيا عن المقاطعات المسيحية وكونت حكومة مركزية .[1]

وثم تأسيس وإنشاء اسبانيا أو الإمبراطورية الاسبانية التي لا تغيب عنها الشمس ، على يد الملكين الكاثوليكيين غودينا* و إيزابيلا* ، وذلك عن طريق الزواج السياسي الذي تم بينهما وهذا أدى إلى توحيد قشتالة الأرغوان سنة 1465م وكل هذه الأحداث كما كانت بمباركة الكنيسة وبهذا تم توحيد إسبانيا سياسيا ودينيا ، كما ظهرت اسبانيا فجأة في شكل دولة كبرى بعد القضاء على الحكم الإسلامي في الأندلس ، واستيلائهم على غرناطة آخر معقل للمسلمين سنة 1492م .[2]

---

[1] – مفيد الزيدي : المرجع السابق ، ص 40 .

* فرديناند : ولد في الأرغوان عام 1452م ، ابن خوان الأول ملك الأرغوان ، حكم عام 1479م بعد زواجه من إيزابيلا بنحو 10 سنوات قاد الحرب ضد المسلمين والأندلس وهو كاثوليكي ، أنظر : جمال يحياوي : " سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1610–1492م) ، د ط ، دار هومة الجزائر ، د س ، ص 33 .

* إيزابيلا : 1451 – 1504م ، ملكة قشتالة (1474 – 1504م) ورثت العرش بعد وفاة أخيها Henri Iv هنري افي لم يكن لزوجها فرديناند سلطة على إمارتها ، أعادت إنشاء محاكم التفتيش 1481م ، حصلت مع زوجها من الباب الاسكندر على لقب ملك الكاثوليك بعد سقوط غرناطة 1492م ، أنظر : عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : " دراسات في تاريخ المغرب والأندلس " ، د ط ، ص 21 .

[2] – جلال يحي : " أوروبا في العصر الحديث الفجر " ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية ، القاهرة ، 1981 ، ص 353 .

وقد انتخب على قشتالة والأرغوان حفيد الملوك الكاثوليكيين شارل الخامس الذي سيطر على اسبانيا ونابلي وصقلية والمستعمرات الواقعة فيما وراء المحيط ، كما سيطرت على بقية ايطاليا والأراضي المنخفضة والفلاندر وبعض مقاطعات فرنسا ، النمسا والإمبراطورية المقدسة .

ووصلت اسبانيا أوجها في عصر الابن فيليب الثاني ، إلا أن فيليب ضم البرتغال مع مع ممتلكاتها الخارجية وأصبح ملكا على لشبونة وعلى ميلانو وجنوا ، بروكسل ، باليرمو ومكسيكو .[1]

2- الاكتشافات الاسبانية :

لم يكن الاسبانيين أقل رغبة من البرتغاليون في اكتشاف بلدان جديدة وفي التعرف على طرق جديدة للتجارة مع الشرق ، تحررهم من سيطرة تجار المدن الايطالية من جهة والدولة العثمانية بأساطيلها القوية في شرق البحر المتوسط من جهة ثانية خصوصا مع الهند ، غير أن اسبانيا كانت قد انشغلت طوال القرن الخامس عشر تقريبا في سلسلة طويلة من الحروب مع المسلمين للتخلص من آخر ما تبقى لهؤلاء من معاقل في شبه جزيرة ليبيريا دولة غرناطة ولم يتم ذلك في سنة 1492م وبعد ذلك أصبح في مقدور فرديناند وزوجته إيزابيل الاهتمام بأمور الإبحار والتوسع .[2]

[1] – جلال يحي : المرجع السابق ، ص 353 .

[2] – محمد محمود النيرب : " تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية " ، ج 1 ، ط 1 ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، 1997م ، ص 20 .

أ- كريستوف كولومبس ورحلاته الكشفية 1492 – 1502م :

قد فكر قديما بعض علماء اليونان ونخص بالذكر أراتوسنيس أن الذهاب للهند غربا ممكن وقد بقيت هذه الفكرة زمنا على أن اهتم بها أحد ملاحي مدينة جنوة المدعو *كريستوف كولومبس .[1]

وقد بدأ يظهر اهتمام كولومبو بالشؤون البحرية منذ عام 1480م بعد زواجه من ابنة برتغالي معروف بقدراته الملاحية ، وهكذا نجده يحاول أن يحقق مشروعه في الوصول إلى الهند غربا ، وقد سيطرت عليه فكرة كروية الأرض التي عرفها وأعلنها العلماء الأقدمون من إغريق ورومان .

بدأ بالتفكير في عرض مشروعه على بلده حتى يكسبها فخر نجاح محاولاته ولكنه فشل عندما رفض السناتو في جنوة مساندته في مشروعه ، فلجأ إلى البرتغال وطنه الثاني فأحسن الملك جون الثاني استقباله ، وأرسل مشروعه لفحصه إلى Diedo Ortis وهو أسقف "سبتة" وإلى طبيبين يهوديين عالمين في الوقت نفسه بشؤون الملاحة ولكنهم بدافع عامل الغيرة والحقد على كولمب أعلنوا خطورة الإقدام على المشروع .[2]

---

[1] – محمد محمود علي : المرجع السابق ، ص 20 .

* كريستوف كولومبس : ولد عام 1451م في مدينة جنوا (الإيطالية) التي اشتهرت آنذاك بتقاليدها البحرية ، وجود أكبر مدرسة عالمية للبحرية فيها ، وهو من عائلة متواضعة كان كولومب شاعرا ومسيحيا وواقعيا في نفس الوقت ، فقد عمل في صغره فقد جاب في أنحاء البحر المتوسط مرات عديدة كان تاجرا وتزوج من فتاة برتغالية واقتبس فكرة البحث عن الطريق إلى الهند من العالم الفلكي الفلورينسي نوسكانيللي فقد تمكن من اكتشاف العالم الجديد ، توفي في عام 1506 م ، أنظر : محمد محمود النيرب : المرجع السابق ، ص 20 .

[2] – عصمت راشد زينب : " تاريخ أوروبا الحديث من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر " ، ج 1 ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1986 ، ص 45 ،

وقد اشتد غضب كولومبو ، فغادر البرتغال وقصد اسبانيا في نهاية عام 1484م فعرض المشروع بنفسه على فرديناند وإيزابيلا ، وكانا مشغولين بالحرب ضد العرب في اسبانيا ومع ذلك فقد رحبا به وعهد إلى " تلافيبرا Tlavera " أحد الرجال المقربين من الملكة لفحص المشروع وبعد ضياع خمسة سنوات لم يصل إلى كولومبو أي موافقة .

وعندما نجحت إيزابيلا وفرديناند في طرد البقية العرب من غرناطة توسط وزيران لمشروع كولومبو فوافقت الملكة عليه ولما كانت حالة البلاد المالية سيئة ، فقد تبرعت بجواهرها لكي تغطي نفقات رحلة كولومبو فقد عقدت معه معاهدة في " سانتا فيه Santa Fé " بتاريخ 17 أبريل 1492م ونص الاتفاق على << أن فرديناند وإيزابيلا قد عين أو أنهما على كولومبو برتبة أدميرال أعظم على كافة البحار والجزر والقارات التي يكتشفها ، على أن تؤول كل هذه الممتلكات لأولاده من بعده >> وقد عين كذلك نائبا عن الملك في كافة الأراضي التي يكتشفها ، وله عشر المكاسب التي تجنيها اسبانيا من العمليات التجارية الناتجة عن الكشوف الجديدة .[1]

- رحلات كولومبس :

قام كولومبس من ثغر بالوس plos في 13 أغسطس 1492م في بعثة بحرية تتكون ثلاث سفن هي سانتا ماريا ، نينا ، بنتا ،(Santa maria, pinta , nina) ، عليها تسعون بحار وثلاثون مسافرا بينهم طبيب وجراح ومترجم وموثق وأقلع بها من بالوس صوب جزر الكناري ، ثم إلى عرض المحيط دون يعلم أنه بدأ أكبر حركة استعمارية في العالم .[2]

[1] – عصمت راشد زينب : المرجع السابق ، ص 46 .

[2] – جورج ليقه ورولان موسنييه : " موسوعة تاريخ أوروبا العام من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر " ، ج 2 ، ط 1 ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 1995 ، ص 206 .

ولقد كانت الرحلة هادئة ولكن البحارة كانوا قلقين وكانوا يعتقدون دائما هناك أرض تلوح على خط الأفق ، ولكن كانت تخيب آمالهم وطلب مساعد كولومب أن يحول اتجاه السير قليلا إلى الجنوب بدلا من مواصلة السير صوب الغرب ، ولولا هذا التغير لوصل كولومبو إلى فلوريدا ولأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية مستعمرة إسبانية ولكن كولومب وافق على نصيحة مساعديه ووصل إلى أمريكا الوسطى التي ستصبح مع أمريكا الجنوبية من مستعمرات الملوك الكاثوليك .[1]

واصل كولومبو السير أو الإبحار باتجاه الغرب من دون أثر للجزر الهندية ، عندما بدأ رجاله يملون وتحولت لهفتهم إلى يأس وأصبحوا راغبين في العودة وفي 11 أكتوبر 1492م في الثانية صباحا أطلق مدفع من أحد السفن معلنا الأرض أمامنا .[2]

امتلئ كولومبو بالفخر والبهجة وأخيرا هاهي الجزر الهندية وهؤلاء الناس على اليابس لابد أنهم هنود ، ولكن لم يكن كولومبس في أي مكان بالقرب من الهند بل كان على جزيرة قريبة من أمريكا ، حيث لا يزال يطلق على أمريكا الأصليين بالهنود والجزر التي حط عليها كولومبس بالجزر الهندية الغربية ، وفي ذلك الوقت كان كولومبس يعتقد أنه وصل إلى الجزر الهندية واستولى عليها باسم الملكية الاسبانية فرديناند وإيزابيلا سنة 1492م ورفع عليها علم قشتالة .[3]

[1] – جلال يحي : " التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر الفجر " ، ج 1 ، د ط ، المكتب الجامعي الحديث ، شارع سوتير أمام سراميكا كليوباترا ، ص 355 .

[2] – إي إتش غومبريتش : "مختصر تاريخ العالم "، ترجمة ، ابتهال الخطيب، " المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب " ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 ، ص 224 .

[3] – نفسه : ص 224 .

ولم يكن هذا الساحل لا ساحل الصين ولا ساحل الذهب إذ أن كولومبو كان قد وصل إلى أحد جزر الباهاما في شمال كوبا ، وواصل الأميرال حملته من جزيرة إلى جزيرة باحثا عن الذهب والتوابل والخان الأعظم ، وبدلا من التوابل لم يجد سوى القطن كما لاحظ نباتات وشجيرات كثيرة يمكن استخدامها في الصياغة والصيدلية والطب في أوروبا ثم وصل إلى كوبا وسماها جواتا نسبة إلى ولي عهد قشتالة ، ثم وصل إلى هاياتي وسماها هسياتيولا وبنى فيها قلعة وترك فيها تسعة وثلاثين بحارا كانوا أول المعمرين من أوروبا في العالم الجديد .

وعاد كولومبو بعد ذلك إلى اسبانيا التي استقبلته استقبال الأبطال الغزاة ، إذ كان قد عاد بكميات قليلة من الذهب والجواهر وبعض الببغاوات والهنود الحمر من كوبا إلا أنه كان يحمل الأمل في الاستيلاء على مستعمرة كبيرة .[1]

سافر كولومبو من جديد كأمير للبحر والمحيط ونائبا للملك في الهند وبلغت رحلاته أربعة .

ففي رحلته الأولى في أبريل 1492م من اسبانيا وباتجاه الغرب ، فوصل إلى جزر الباهاما التي سماها "سان سلفادور " ثم توجه إلى شاطئ كوبا الشمالي وجزيرة هايتي وسماها اسبانيا الصغيرة ، ثم عاد إلى اسبانيا في مارس 1493م .

وفي نفس السنة 1493م قام كولومبو برحلة ثانية لاحتلال الأراضي الجديدة واستعمارها واستخراج الذهب ونشر المسيحية بين السكان الذين سماهم كولومبو بالهنود وقد اكتشف كولومبو في هذه المرة جمايكا وعاد مرة أخرى سنة 1496م .[2]

[1] – جلال يحي : المرجع السابق ، ص 336 .

[2] – عبد الحميد البطريق وآخرون : المرجع السابق ، ص 59 .

وفي سنة 1498م قام كولومبو برحلة ثالثة وصل إلى مصب نهر أورينوكوا واكتشف أجزاء من أمريكا الوسطى ، ثم قام برحلة رابعة في مايو سنة 1502م وبنفس الاتجاه إلا أنه لم يوفق في هذه الرحلة وعاد إلى اسبانيا سنة 1504م ولم تحصل اسبانيا على ما كان منتظر من الذهب الكثير ، بل إن ما كسبته اسبانيا حتى ذلك الوقت لم يتناسب مع ما كان يؤمله الاسبانيين من توابل الشرق ، والواقع أن فشل كولومبو في رحلته الأخيرة أفقده سمعته عند الملكين ، فأقصي الملاح العظيم عن قيادته .[1]

فقد مات فقيرا مدقعا في 20 مايو سنة 1506م بمدينة فلادوليد مات بعد أن اكتشف طريقا غربيا لجزر الهند ولم يدرك حتى وفاته انه قد اكتشف عالما جديدا ، بل ظل يعتقد أنه وصل إلى السواحل الشرقية لقارة آسيا والهند ولذا فإنه أطلق على سكان هذه المناطق اسم " الهنود الحمر " .[2]

وقد نتج عن رحلات كولومبس عدة نتائج مهمة نذكر منها :

1- أثارت رحلاته موجة عارمة من رح المغامرة البحرية إلى حد كبير لدى البحارة البرتغاليين الذين داروا حول القارة الإفريقية ووصلوا إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ولدى غيرهم من البحارة الأوربيين .

2- بدأ الملوك الكاثوليك يثبتون استعمارهم وملكيتهم على الأراضي المكتشفة جديدا .

3- شجعت الإسبان أنفسهم على الاستمرار في عمليات الكشف الجغرافي والتوغل في القارة الجديدة من الجزء الجنوبي منها .[3]

[1] – عبد الفتاح حسن أبو علية وآخرون : المرجع السابق ، ص 67 .

[2] – محمد حمدي علي : المرجع السابق ، ص 52 .

[3] – عبد الفتاح حسن أبو علية : تاريخ الأمركيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، المرجع السابق، ص 13.

ب- رحلة ماجلان 1519- 1522م :

تعد رحلة ماجلان من الرحلات المهمة التي ركزت جهود الكشف الجغرافي الإسباني وجعلته ينال إعجاب الكثيرين ، وكان ماجلان ملاحا برتغاليا تحت إمرة البوكرك أحد حكام البرتغاليين في جزر الهند الشرقية وكان مع البرتغاليين عند وصولهم إلى جزر التوابل سنة 1521م ولكن لسوء معاملة البرتغاليين له ترك خدمتهم ودخل في خدمة شارل الخامس ملك اسبانيا وفي ذلك الوقت فكر ذلك الملك في إيجاد طريق لجزر التوابل غربا مستندا بذلك على فكرة كروية الأرض فاختار لتحقيق هذه الأمنية فرديناند وماجلان* Magellane .[1]

وفي عام 1518م وقع شارل الأول ملك اسبانيا مع ماجلان عقد الرحلة ويشاركه فيها العالم الجغرافي فاليرو ، وكان الاتفاق مع الملك على أخذ 50% من الأرباح وإذا اكتشفوا ستة جزر يأخذون جزيرتين ويكون ماجلان حاكما على أي جزيرة يكتشفها وقد زودهم الملك بخمس سفن وكان الملك حريص على دم الإساءة لملك البرتغال ، وطلب من ماجلان الالتزام بخط التقسيم الوهمي بين اسبانيا والبرتغال وألا يكتشف شيء إلا في نطاق اسبانيا .[2]

[1] – محمد حمدي علي : المرجع السابق ، ص 27 .

* ماجلان : ولد ماجلان عام 1480م في البرتغال وهو من أسرة نبيلة ، فقد عمل في بداية حياته في جزر الهند الشرقية ، كما قضى بعض الوقت في مراكش كمحارب برتغالي ثم ترك بعد ذلك البرتغال مفضلا العمل في خدمة ملك اسبانيا شارل الخامس الذي كلفه بالقيام برحلة جغرافية استكشافية ، وتعهد ماجلان بأنه لن يرتكب أي عمل مشين في منطقة النفوذ البرتغالي ، تمكن بعبقريته من الدوران حول الكرة الأرضية فكان رجلا عظيما بصفته بحارا وجغرافيا ومكتشفا فهو أعظم الملاحين قديما وحديثا ، أنظر : يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 148 .

[2] – أشرف صالح محمد سيد : المرجع السابق ، ص 81 .

فقد اصدر ملك اسبانيا مرسوما لماجلان يخول له القيام برحلة كشفية حول الأرض جاء فيه :

1- عليك يا ماجلان الذهاب لتكتشف جزء من المحيط الواقع داخل حدودنا التي تنفرد اسبانيا بها ، وعليك أيضا يا ماجلان استكشاف أي جزء من هذه الأرض الواقعة في اتجاه الغرب .

2- عليك يا ماجلان كذلك عدم القيام بأي استكشاف في داخل حدود ملك البرتغال الواضحة للعيان ، بحيث لا تتسبب يا ماجلان في ضرر البرتغال .

3- عليك يا ماجلان وبقدر معرفتي لأي جهة فإنه بوجود توابل في جزر المالوكو Maluco وأنت يا ماجلان ستذهب لتبحث عن أماكن هذه التوابل ، وتكون رغبتي يا ماجلان في وصولك إلى تلك الجزر المذكورة .[1]

وفي 20 سبتمبر 1519م خرجت الحملة في خمس سفن اسبانية تحت قيادة ماجلان من ميناء لوكار San Lucar حيث اتجهت إلى الجنوب من المحيط الأطلسي ثم إلى الجنوب الغربي حتى وصلت ميناء ريودى جانيورى البرازيلي ثم مصب نهر ريودى لاباتا وواصلت الحملة طريق السير بمحاذاة الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبية في اتجاه الجنوب اكتشف ماجلان مضيق أطلق عليه الباسفكي Pacifique* في أكتوبر 1520م .[2]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 148 .

[2] – عبد العزيز سليمان نوار وآخرون : المرجع السابق ، ص 67 .

* أطلق ماجلان هذا الاسم نظرا لقلة الأعاصير فيه عن المحيط الأطلسي .

وأبحرت السفن شمالا في اتجاه الغرب ووصلت إلى جزر الفلين 1521م وهي مجموعة من جزر الملايو في بحر الصين ، وأطلق عليها هذا الاسم لفيليب ابن الإمبراطور شارل الخامس الذي سيلي عرش اسبانيا باسم فيليب الثاني ، وقد اعتقد ماجلان أنه وصل إلى جزر التوابل ولكنه كان قد أخطأ في تقدير درجات العرض وابتعد عشر درجات شمالا عن الطريق المؤدي إلى جزر التوابل ، وأدى هذا الخطأ إلى نتيجة هامة هي الفلين أصبحت من ممتلكات اسبانيا ، وقد أشعلت الحرب بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية عام 1898م أدت إلى ضياعها منها وانتقالها إلى ممتلكات الولايات المتحدة .[1]

إلا أن ماجلان قد قتل على أيدي السكان المحليين في قتال نشب هناك كما واصلت إحدى السفن طريقها عبر المحيط الأطلسي ودارت حول إفريقيا بقيادة سباستيان ديلكانو sebestian delcono ووصلت إلى اشبيلية عن طريق رأس الرجاء الصالح في 07 سبتمبر 1522م ، وبذلك تكون قد تمت الرحلة حول الأرض ، ومنذ ذلك الحين دخلت الفلبين فلك الإمبراطورية الإسبانية .[2]

ج- نتائج اكتشاف ماجلان :

تعد رحلة ماجلان من أهم الرحلات التي دونها التاريخ ، لقد كانت نتائجها خطيرة وبعيدة الأثر ، لدرجة جعلت غيرها من الرحلات تتضاءل أمامها مع عظيم أهميتها فهذه الرحلة أثبتت بما لا يمكن مجال للشك أن الأرض كروية لأنه دار حول الكرة الأرضية في ثلاث سنوات ، فقد أثبت أن السير في اتجاه واحد سواء كان ذالك من الشرق أو من الغرب يؤدي إلى المكان الذي بدأ منه الإنسان رحلته وبذلك استقرت في الأذهان الحقيقة .[3]

[1] – عمر عبد العزيز عمر : مرجع سابق ، ص 94 .

[2] – عبد الفتاح حسن أبو علية : المرجع السابق ، ص 15 .

[3] – عصمت راشد زينب : المرجع السابق ، ص 54 .

وبذلك استقرت في الأذهان الحقيقة الجغرافية وهي كروية الأرض وصححت مواقع الأرض المستكشفة .

كما برهنت رحلته أن الأرض أكبر بكثير مما كان يعتقد كولومبس وغيره من الرحالة ، ثم نبهت الرحلة أن هناك قارتين عظيمتين الاتساع هما أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية تقعان بين أوروبا وآسيا فضلا عن المحيط المترامي الأطراف كان مجهولا هو المحيط الهادي .[1]

ظف إلى ذلك لقد هدمت جميع النظريات الخاطئة والإشاعات والخرافات والأساطير القائلة عن حجم الأرض وشكلها ، ولم يبقى من الأراضي غير المنكشفة سوى الأقطار القطبية وأستراليا (أوقيانوسيا) ، كما عرف حدود العالم الجديد من جنوبه حتى شماله فتحت رحلة ماجلان الشرق الأقصى أمام أوروبا بطريق ملاحي متصل وربطت بين العالم الجديد الذي يضم الأمريكيتين وبين الشرق الأقصى باكتشاف الممر الذي يعرف باسم ماجلان في أقصى الطرف الجنوبي من أمريكا الجنوبية موصلا بين المحيطين الهادي والأطلسي .[2]

شجعت رحلة ماجلان كثير من الرحالة للقيام برحلات استكشافية جديدة ، فقد واصل الاسبان رحلاتهم الكشفية بعد رحلة ماجلان فقام << فرديناند وكورتيز>> برحلته الواسعة إلى أمريكا الوسطى ودخل المكسيك بعد حرب مع قبائل الأزتيك القاطنة في المكسيك آنذاك .

وفي سنة 1522م استولى الإسبان على جواتيمالا ، وعلى سلفادور سنة 1526م وعلى الهندوراس ونيكاراجوا سنة 1524م وأخذ الإسبان يؤسسون المدن الجديدة في أمريكا الوسطى.[3]

[1] – عصمت راشد زينب : المرجع السابق ، ص 54 .

[2]– عبد الفتاح حسن أبو علية : المرجع السابق ، ص 15 .

[3] – عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ص 69 .

وفي أمريكا الجنوبية وصل الإسبان إلى هضبة البيرو التي كانت تسكن من قبل قبائل الأنكا كما وصلوا إلى التشيلي وبوليفيا وأطلقوا على البيرو اسم قشتالة الجديدة وما جاء سنة 1541م إلا وأصبح الإسبان سادة هذه الأماكن الأمريكية .[1]

وهكذا توسع الإسبان في عملياتهم الكشفية في العالم الجديد وشكلوا فيه المستعمرات الإسبانية وظهر الاستعمار الإسباني في العالم الجديد مركزا في جنوبه ووسطه وأقل منها في شماله .[2]

[1] – محمد حمدي علي : المرجع السابق ، ص 28 .

[2] – عبد الحميد البطريق وآخرون : المرجع السابق ، ص 59 .

3- نتائج الكشوف الجغرافية وأثرها على العالم الإسلامي وعلى أوروبا :

بالرغم من كل الصعوبات كان الكشوف الجغرافية نتائج وآثار متعددة (تجارية ، اجتماعية استعمارية ، صحية ، ثقافية وسياسية) ، شملت الكثير من التغيرات التي طرأت على المناطق المكتشفة خاصة باكتشاف الطريق البحري المؤدي إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح لتعكس آثار أخرى غيرت من مفاهيم عديدة لتقود القارة إلى موجة استعمارية والبحث عن مناطق النفوذ لا لشيء إنما لتحقيق المصالح والوصول إلى الأهداف .

1- النتائج والآثار التجارية والاقتصادية :

اتجه البرتغاليون في بداية القرن الخامس عشر ميلادي نحو عمليات الكشوف الجغرافية فيما وراء البحار نتيجة للنمو المتصاعد للشعب البرتغالي ذاته ، وظهور تطلعاته القومية والرغبة في السيطرة والثراء ، كما أدى احتدام الصراع الديني بين المسيحيين الكاثوليك والمسلمين في شبه جزيرة إيبيريا في نهاية العصور الوسطى إلى اتجاه البرتغاليين إلى مطاردة المسلمين على ساحل إفريقيا الغربي ، وعلى إصرارهم على انتزاع التجارة الشرقية من أيديهم عن طريق كشف طريق بحري مباشر إلى البحار الشرقية .[1]

وكان الحجم الأكبر من هذه التجارة يمر بمصر وينتقل منها إلى البحر المتوسط طوال العصور القديمة والوسطى وكانت البندقية بصفة خاصة تقوم بدور الوسيط بين موانئ البحر المتوسط الإسلامية والعالم الأوروبي آنذاك .[2]

---

[1] – محمد حميد السلمان : " الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507م إلى 1565م " ، د ط ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، 2000م ، ص 25 .

[2] – سعيد عبد الفتاح عشور : " العصر المملوكي في مصر والشام " ، ط 2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976م ، ص 45 .

إن أغراض البرتغال في خلال فترة لا تتجاوز عشر سنوات تمتد بين عامي 1499م و1509م من مجرد الرغبة في كشف الطريق البحري إلى الهند لتحقيق بعض المكاسب الاقتصادية إلى الرغبة في احتكار التجارة الشرقية والسيطرة عليها وعلى مصادرها الأصلية بل إلى إقامة حكومة استعمارية أوروبية في بلاد الشرق ، لاشك أن تفوق البرتغاليين الحربي كان عاملا أساسيا في تطور موقفهم السريع أثناء تلك الفترة بحيث كانوا يملكون سفن حربية مزودة بالمدافع وهي أسلحة لم تكن معروفة في الهند في ذلك الحين .[1]

وكان استيلاء البرتغاليين على جزيرة سقطرى في سنة 1506م ، الواقعة في مواجهة القرن الإفريقي وتشرف على مدخل خليج عدن المؤدي إلى البحر الأحمر عاملا حاسما في تحكم البرتغاليين في الطريق البحري المباشر بين مصر والهند .

وبعد أن تمكن البرتغاليون من الوصول إلى قاليقوط سنة 1498م أخذت التجارة الشرقية التي كانت تصل إلى المحيط الهندي الذي كان أشبه بوعاء العسل بما فيه من خيرات تتحول إلى طريق رأس الرجاء الصالح بحيث لم تعد مصر مركز رئيسي الذي تتجمع فيه السلع الشرقية فيشتريها البنادقة وغيرهم .

ولما أصبح البرتغاليون يتحكمون في منابع السلع من أرجاء المحيط الهندي بعد الكشوف فلم تعد هناك حاجة إلى وساطة مصر أو البنادقة ، تلك الوساطة التي أدت إلى ارتفاع أثمانها في الأسواق الأوربية .[2]

[1] – سعيد عبد الفتاح عشور : المرجع السابق ، ص 45 .

[2] – فاروق عثمان أباضة : " أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعلى عالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر " ، ط 2 ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1993 ، ص ص 44 ، 45 .

إذا كان ثمن قنطار الفلفل على سبيل المثال يتراوح بين 2 و3 بندقيا في فاليقوط ويصبح ثمنه بعد وصوله إلى الإسكندرية 20 بندقيا ، على حين صار يباع في لشبونة البرتغالية بعد الكشف الجغرافي بسعر يتراوح بين 20 و 30 بندقيا .[1]

أي أن أسعار السلع انخفضت بواقع نصف قيمتها على أكثر تقدير ، كما السفن البرتغالية وفرت على المستهلك الأوروبي مشقة الحصول على السلع الشرقية حتى من لشبونة التي أصبحت مركزا لتجمع هذه السلع وتسويقها إذ صارت السفن البرتغالية تنقل السلع الشرقية مباشرة إلى مناطق الاستهلاك مثل انجلترا والأراضي المنخفضة وغيرها من الدول الأوربية.[2]

فبعد أن كان البحر المتوسط هو الطريق الرئيسي المؤدي للتجارة في العصور الوسطى بل مركز النشاط السياسي انتقل هذا المركز بعد حركة الكشوف الجغرافية إلى المحيط الأطلنطي الذي أصبح طريق التجارة العالمية في العصور الحديثة وبالتالي انتقل مستقبل أوروبا الاقتصادي من مدن البحر المتوسط من البندقية وجنوا التين كانتا تقومان بتوزيع التجارة الشرقية التي كانت تأتي من الهند والشرق الأقصى عن طريق مصر ، واكتسبتا من وراء هذه التجارة ثروة طائلة إلى أمم الغرب الناشئة إلى البرتغال واسبانيا ثم هولندا انجلترا وفرنسا التي كانت تقع على الطريق الغربي للدنيا القديمة وأصبحت في قلب العالم بعد الكشوف الجديدة .[3]

[1] – فاروق عثمان أباضة : المرجع السابق ، ص 46 .

[2] – إبراهيم علي طرخان : " مصر في عهد دولة المماليك الجراكشة (1382هـ – 1517م) " ، د ط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د . س ، ص 293 .

[3] – عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ص 95 ، 96 .

- النتائج الاقتصادية :

وتتلخص في انتقال مركز التجارة من حوض البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي فانتقلت أهمية التجارة من دول حوض البحر المتوسط إلى دول أوروبا ، ويعرف هذا بالثورة التجارية وكذلك حركة التوسع التجاري التي ظهرت على أثر فتح أسواق جديدة فقد زادت كمية المعادن الثمينة لاسيما الذهب والفضة ، واتخذت طريقها إلى أوروبا وساعد ذلك على أن يحل النقد محل المبادلة في البيع والشراء ، وتدفقت كميات عظيمة من معدن الفضة على أوروبا نتيجة للاستكشافات الاسبانية على وجه الخصوص .[1]

وبذلك تطورت الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية في أوروبا حيث أحدث تدفق الفضة ثورة في الأسعار وارتفعت الأجور وأثمان السلع وتكاليف المعيشة والحياة تحسنت الحياة والحالة الاقتصادية في أوروبا بوجه عام وأخذت محصلات جديدة ترد إليها كالذرى والبطاطس والكاكاو والتبغ ، وأصبح عاملا أساسيا في الحياة الاقتصادية .[2]

ظف إلى ذلك ازدياد النشاط التجاري الاقتصادي ، وقد ظهر ذلك في إنشاء الصناعات الجديدة مما أدى إلى ازدياد رؤوس الأموال ، ووجهت الأنظار نحو العمل على ضمان حرية التجارة ومن هنا ظهرت كذلك الحاجة إلى الحصول على مستعمرات لتصريف مصنوعات الدولة ، والحصول على المعادن والموارد الأولية اللازمة للصناعة ، ومن ثم بدأ التقدم والنمو الاقتصادي للدول البحرية الواقعة غربي أوروبا وشمالها الغربي .[3]

[1] – عصمت راشد زينب : المرجع السابق ، ص 54 .

[2] – عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص 96 .

[3] – عيسى علي إبراهيم : المرجع السابق ، ص 107 .

2- أثر تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ميلادي :

أدى تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر الميلادي إلى أحداث تغيير واضح المعالم في الواقع الاقتصادي والسياسي والاستراتيجي الذي عاشته مصر وعالم البحر المتوسط في مطلع العصور الحديثة.

ولدراسة الأثر الذي أحدثه هذا التحول التجاري على مصر وعالم البحر المتوسط نتطرق إلى المجالات الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية حتى يمكنها التعرف على حقيقة أبعاده في القرن السادس عشر ميلادي .[1]

أ- الأثر الاقتصادي :

إن دولة سلاطين المماليك في مصر والشام والحجاز كانت تتمتع أيام عنفوانها وقوتها باقتصاد متين يعود حجم اقتصادها إلى هذا الحجم من التجارة العالمية الناشطة التي كانت تمر على بلادها ، فحققت توازن في سياستها الداخلية والخارجية بفضل تمتعها بقوة ضاربة حير بها الأصدقاء ويخافها الأعداء وذلك قبل انهيارها عام 1517م .

يجدر بنا الإشارة أيضا إلى مظهر من مظاهر تدهور السلطة المملوكة وهو عبث المماليك بالسلطة وكذلك انتشار وباء الطاعون عدة مرات في مصر بالإضافة إلى نقص في مياه النيل .[2]

---

[1] – فاروق عثمان أباضة : المرجع السابق ، ص 47 .

[2]– أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي بن إياس : " بدائع الزهور في وقائع الدهور " ، تحقيق ، مصطفى محمد ، ج 1 ، د ط ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1987 ، ص 120 .

غير أن السلطة المملوكة تعرضت في النصف الأخير من حياتها الكثير من حياتها الكثير من مظاهر التدهور الاقتصادي نتيجة عدة عوامل .

كان تحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، وما ترتب عليه من أضعاف النشاط التجاري وللعوائد المالية للممالك من جهة ، إذ لم تلبث أن أغلقت طواحين قاطبة وامتنع الخبز في بعض الأسواق وكذلك الدقيق ...إلخ .

يكمن ذلك الأثر في كساد تجارتها ، ذلك أنه من المعروف أن دولة المماليك بنت قوتها واستمدت ثروتها من قيامها بدور الوسيط التجاري بين الشرق والغرب ولكن اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم إلى الهند حرم سلطنة المماليك من المورد الأول لثروتها .

انتهت هذه السلطة بتحول التجارة العالمية إلى طريق رأس الرجاء الصالح وانحصارها إلى مصر وعالم البحر المتوسط منذ وصول البرتغاليين إلى الهند ، فقد حاول سلاطين المماليك معالجة الوضع إلا أن ذلك لم يحد من أثر ذلك التحول .[1]

ب- الأثر السياسي :

شهدت سلطنة المماليك في نهاية عهدها منذ أواخر القرن الخامس عشر ومطلع السادس عشر ميلاديين الكثير من الاضطرابات السياسية الداخلية التي جاءت في نفس الوقت الذي تمكن فيه البرتغاليين من الدوران حول إفريقيا والوصول إلى الهند .[2]

[1] – فاروق عثمان أباضة : المرجع السابق ، ص ص 48 ، 56 .

[2] – سعيد عبد الفتاح عشور : " التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك (872هـ – 923هـ / 1468م – 1517م) " ، د ط ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، 1973 ، ص 88 .

وبداية سيطرتهم على التجارة الشرقية وبالتالي زمان مصر وعالم البحر المتوسط من أهم الموارد المالية في ذالك الحين وقد أدى هذا التحول في اقتصاديات الدولة المملوكة إلى التأثير في الحياة السياسية والتي اتسمت بالتناقل والصراع لاعتبارات متعددة زاد تفاقمها عندما ذاقت الموارد العلمية نتيجة التحول في مسار التجارية .

ظهرت هذه الاضطرابات السياسية الداخلية في نفس الوقت الذي حرمت فيه مصر من التجارة العالمية .

لقد كانت الدولة المملوكية دولة قوية بحكم سيطرتها إلى بعض الأقاليم المجاورة وتحكمها في طرق التجارة العالمية وهذا ما تغير خلال القرن السادس عشر ميلادي .[1]

ج- الأثر الاجتماعي :

يتمثل في تجارة الرقيق ، وقد كان هذا النظام معترف به منذ العصور القديمة وكان موجودا في غالبية المجتمعات ، ولكن حجم الرق أخذ أبعادا كبيرة بعد حركة الكشوف الجغرافية ووصول الأوربيين إلى اكتشاف العالم الجديد ورغم أن العصور الحديثة عملت على تحرر الإنسان من الرق في بلادنا ، إلا أنها احتفظت بنظام الرق بالنسبة للعناصر الغير أوروبية بشكل عام والأفارقة بشكل خاص .

وهدف تجارة الرقيق في العصور الحديثة تزويد العالم الجديد بأعداد كبيرة من الأيادي العاملة ، ويمكنها أن تتحمل المناخ الاستوائي أو المداري ، وتعمل في إنتاج للسادة البيع وكانت عملية تجارة الرقيق تمثل نقل أعداد ضخمة من الأفارقة خارج حدود بلادهم وقارتهم وعبر المحيط .[2]

[1] – سعيد عبد الفتاح عشور : المرجع السابق ، ص 88 .

[2] – فاروق عثمان أباضة : المرجع السابق ، ص 57 .

وظلت العناصر الأوربية تعتمد عليهم وبخاصة في الإنتاج الزراعي إلى أن قلت حاجتها إليهم وخاصة بعد اختراع الآلات .

وإن قصة تجارة الرقيق هي ملحمة طويلة تدل على معاناة القارة واستنزاف الرجل الأبيض لمواردها البشرية ، وفي صالح طموحاتها .

ظف إلى ذلك تجارة الرقيق والتغير الاقتصادي حيث كان لتجارة رقيق الأطلنطي تأثيرا واسعا فخلقت ظروف متشابهة للثورة التجارية التي حدثت في غينيا أيضا المتشابهة للتجارة المتطورة التي حدثت في السودان العربي والأوسط ، وقدمها ذلك فيما بعد من لفت الأنظار إلى أهمية تجارة ما وراء الصحراء إذ كانت تجارة الرقيق تجارة عالمية ، ومن أجل هذا وبالتحديد فقد أصبحت التجارة الخارجية الرئيسة في غرب إفريقيا مطلوبة ، ومن أجل الحاجة إلى الأيدي العاملة والعبيد يعملون في المزارع الأمريكية .[1]

[1] – فاروق عثمان أباضة : المرجع السابق ، ص 57 .

- النتائج والآثار الثقافية :

- تطور العلوم :

لقد لعبت الكشوف الجغرافية دورا هاما في تقدم وتطور بعض العلوم فقد أحدثت تغييرا جذريا في مبادئ الجغرافيا القديمة حيث توفرت معلومات أحدث وأكثر دقة عن الأرض من حيث شكلها وأبعادها وبحارها ، وامتداد اليابسة فيها ، فقد أدت حركة الكشوف الجغرافية إلى زيادة مفاجئة في معرفة الإنسان على العالم الممكن استيطانه .[1]

ومن النتائج العلمية للكشوف الجغرافية ، تقدم العلوم الجغرافية واكتشاف مناطق جديدة كانت في السابق مجهولة كالعالم الجديد كما تأكدت نظرية كروية الأرض .

وفي علم التاريخ دخلت القارات الجديدة المكتشفة خبر التدوين التاريخي ، ولم تعد المعلومات التاريخية مقصورة على القارات القديمة .

ظهرت لهم نجوم جديدة ما كانوا ليصلوا إليها بمراصدهم في القارة الأوروبية .[2]

- نشر المسيحية :

فقد دخلت أو انتشرت الديانة المسيحية في بعض بقاع المناطق المكتشفة بحيث بذل دعاة المسيحية في معظم الأقاليم الجديدة جهودا في نشر الدين المسيحي ، خاصة في تنصير المسلمين في الشرق .[3]

---

[1] – جعفر عباس حمدي : " تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر " ، د ط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، 2002 ، ص 73 .

[2] – إلهام محمد علي ذهني : " بحوث ودراسات في تاريخ إفريقيا الحديث " ، د ط ، مكتبة الأنجلو المصري ، القاهرة ، 2009 ، ص 85 .

[3] – محمد السيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 98 .

- على المستوى الصحي :

كان لحركة الكشوف الجغرافية بالغ الأثر في إحداث تغيرات على المستوى الصحي .

الاستفادة من التقنيات الطبية وبالتالي علاج بعض الأمراض التي توطنت في المناطق الداخلية لإفريقيا .

فقد تعرضت القارة الإفريقية بوجه الخصوص لأمراض لازمتها منذ سنين طويلة إلا أنها بدأت تجد لبعضها علاج خاصة وأن الوافدين إليها من المكتشفين والبعثات التبشيرية ساهمت في إيجاد حلول لبعض مشاكل سكان القارة الصحية .

وكان للأمراض والأوبئة الفتاكة التي كانت تفتك بأعداد من سكان المناطق المكتشفة عائقا أمام تقدم تلك الحملات الكشفية .[1]

[1] - محمد السيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 100 .

- النتائج والآثار الاستعمارية

لقد ترتب عن حركة الكشوف الجغرافية نتائج استفادت منها القارة الأوروبية بحيث أدت إلى ظهور الحركة الاستعمارية بأشكالها المختلفة ، إذ أدت هذه الحركة إلى الاستعمار والتوسع فوقعت مشاحنات بين الدول لأجل هذا الغرض ، فقد كانت الدول تقيس عظمتها بكثرة الأراضي التي تسيطر عليها .[1]

أدت هذه الأطماع إلى إنشاء الأساطيل الحربية وظهور نظريات جديدة تنادي بسيطرة الرجل الأبيض وتقر بالتفرقة العنصرية .

فالاستعمار من وجهة نظر د: نكروما هو السياسة التي بها ترتبط وتقيد الدولة الأمم مستعمراتها وتوجيهها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية الخاصة .

ومن هنا نستطيع أن ندرك كيف أن الدول التي حققت وحدتها القومية حديثا ، اشتدت رغبتها الملحة في التوسع لنشر نفوذها ومبادئها حتى باتت تؤمن بأن بقاءها رهينة بقاء مستعمراتها أي كانت مظاهر الاستعمار فيها ولا أدل على ذلك مما جاء في أقوال اللورد " كورزون Corzon " بشأن الهند ، حيث قال : << هي محور عظمتنا ومقياس نجاحنا أو إخفاقنا ولئن فقدنا الهند فليكون هذا إنذارا بغروب شمس حياتنا >> .[2]

[1] – محمد سيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 93 .

[2] – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : " المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا " ، د ط ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 ، ص 15 .

كانت القارة الإفريقية هي المجال الحيوي الخصب أمام طموحات الدول الأوروبية خصوصا بعد أن عاد الرحالة والمستكشفون ونشروا رحلاتهم في مجلدات ضخمة كشف لكثير من كنوز القارة ومواردها .

لقد كانت للكشوف الجغرافية لإفريقيا وكشف مواردها بداية للتكالب الأوروبي على القارة ومن هنا يبرز مدى الارتباط الوثيق مابين حركة كشف مجاهل القارة واستعمارها .

أدى دخول دول أخرى ميدان الاستعمار إلى حدة التنافس والصراع وذلك من أجل استغلال واحتكار تجارة الشعوب المستعمرة سعيا منها لجني المكاسب المادية الكبيرة ، ولكن هذا التنافس لم يكن ميدانه أوروبيا بل هناك فيما وراء البحار .

ومن صور هذا التنافس ما كان قائما في البداية بين البرتغال واسبانيا ، وكذا مابين هولندا والبرتغال ، ومن ثم ظهور القوى الأكبر في ميدان الاستعمار وهما فرنسا وانجلترا وما دار بينهما في تنافس في شتى المجالات تحقيقا لأهداف كل منهما الاستعمارية والسيطرة على مكامن الثروات في العالم .[1]

[1] – عبد الملك عودة : " السياسة والحكم في إفريقيا " ، د ط ، القاهرة ، 1969 ، ص 93 .

4- الفرق بين حركة الكشوف الجغرافية الاسبانية وحركة الكشوف الجغرافية البرتغالية

أ- أوجه الاختلاف بين الكشوف الإسبانية والبرتغالية :

هناك اختلاف واضح بين حركة الكشوف الجغرافية والاسبانية وحركة الكشوف البرتغالية فحركة الكشوف البرتغالية قامت على يد رحالة وبحارة برتغاليين ، أما حركة الكشوف الاسبانية فقد قامت على يد مجموعة من المغامرين الأجانب مثل كريستوف كولومبس الذي هو ايطالي الأصل وكذلك المكتشف ماجلان وهو برتغالي الأصل .[1]

ظف إلى ذلك فإن حركة الكشوف البرتغالية اتجهت إلى الشرق لتحقيق أهدافها بينما الكشوف الاسبانية قد اتجهت نحو الغرب للوصول إلى الشرق وذلك لتحقيق نظرية كروية الأرض .[2]

فقد اكتشف الإسبان العالم الجديد باكتشاف كل من أراضي أمريكا الوسطى والجنوبية بأكملها ماعدا البرازيل ، كما احتلت الإسبان بيرو والأرجنتين وجزر كوبا وهايتي وجميكا وترينداد وكشف مصب نهر الأورينوكو ، ساحل فنزويلا ، أما البرتغال استعمرت في العالم الجديد البرازيل فقط .[3]

[1] – محمد السيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 72 .

[2] – ميلاد المقرحي : " تاريخ أوروبا الحديث 1453 – 1848م " ، ط 1 ، منشورات جامعة فازيونشين ، بنغازي ، د ب ، 1995م ، ص 70 .

[3] – رأفت غنيمي الشيخ : المرجع السابق ، ص 16 .

ب- أوجه التشابه بين الكشوف الاسبانية والبرتغالية :

لهما نفس الموقع اسبانيا والبرتغال على المحيط الأطلسي وإشرافهما على أهم طرق المواصلات البحرية الدولية في ذلك الوقت ، كما أنهما دولتين (اسبانيا والبرتغال) كاثوليكيتين .[1]

كما لهما نفس النتائج والتي تمثلت في تضاؤل أهمية البحر المتوسط من الناحية التجارية وانتقلت إلى المحيط الأطلسي ، وكذلك البحث عن الذهب من أجل الاستغناء ، واستعملوا من أجل ذلك كل الوسائل كالسلب والنهب ، وقاموا باستغلال وخداع السكان الأصليين .[2]

ولقد ركزت كل من اسبانيا والبرتغال على بناء اقتصاد محلي قوي وعلى نشر المسيحية في إفريقيا وآسيا والعالم الجديد ، كما ركزت وعملت على تحويل السكان الأصليين للبلاد المكتشفة إلى المسيحية أو اعتناق الديانة المسيحية الكاثوليكية ، كما كان للإسبان والبرتغال أهداف انتقامية موجهة نحو المسلمين ، وتهدف كل منهما كذلك إلى مواصلة الحروب الصليبية ضد المسلمين ، ومواجهة القوى الإسلامية وإخضاعها .[3]

كما أن لهما نفس الدوافع ، فقاموا باحتكار تجارة التوابل مع الشرق ، من أجل محاصرة الإسلام واستغلال المناجم واستخراج الذهب والفضة ، فقد أنشأ الاسبان والبرتغال مستوطنات دائمة في الأماكن التي وصلوا إليها واكتشفوها واستعملت هذه المستوطنات كمراكز لمراقبة في المستعمرات .[4]

---

[1] – محمد محمود النيرب : المرجع السابق ، ص 18 .

[2] – إي اتش غوميريش : المرجع السابق ، ص 29 .

[3] – ميلاد أحمد المقرحي : المرجع السابق ، ص ص 66 ، 67 .

[4] – محمد محمود النيرب : المرجع السابق ، ص ص 18 ، 24 .

ولقد اتبعت كل من اسبانيا والبرتغال نفس السياسة والأسلوب الاستعماري في المناطق المكتشفة والتي تتمثل في أسلوب النهب والاستنزاف لشعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا أو العالم الجديد ، كما أن النهب والاستنزاف لم يقتصر على الثروات الطبيعية بل تعدى إلى الثروة البشرية ، حيث تحولت إفريقيا إلى مزارع لاصطياد السود وبيعهم في الأمريكيتين .[1]

واتبعت كلا منهما سياسة التفرقة العنصرية في كل من الولايات المتحدة وإفريقيا وقامت كذلك بتجارة العبيد الذين كانت تقوم بجلبهم من إفريقيا وتقوم بتسخيرهم في أعمال قاسية وشاقة مثل العمل في المناجم وفي حقول القصب السكري والمطاط .[2]

ج- العلاقة بين الكشوف البرتغالية والكشوف الاسبانية :

إن العلاقة بين هاتين الدولتين خلال هذه الفترة أي خلال القرن السادس عشر هي علاقة منافسة وصراع وذلك بسب انتشار النفوذ الإسباني في البرتغال ، حتى استطاع الملك الإسباني فيليب احتلال البرتغال بعد وفاة الملك هنري .[3]

وتظهر علاقة المنافسة بين الإسبان والبرتغال في أن البرتغال حصلت على مرسوم بابوي يمكنها بمقتضاه التوسع شرقا والاستيلاء على طريق التوابل والبلاد التي تكتشفها ، وهذا ما أدى إلى بدأ المشاحنات بين الدولتين وكذلك لجأ كل منهما إلى بابا روما فرسم البابا خط وهمي من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي على بعد 100 فرسخ غرب الجزر الواقعة في إفريقيا بحيث يكون لإسبانيا الأقاليم الواقعة غرب هذا الخط ، ويكون للبرتغال الأقاليم الواقعة شرق هذا الخط .[4]

---

[1] – عبد العظيم رمضان : " تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث ،(من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة) ، ج 1 ، د ط ، الهيئة المصرية عامة للكتاب ، د ب ، 1997 ، ص 192 .

[2] – نفسه ، ص 203 .

[3] – محمد السيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 76 .

[4] – نفسه ، ص 77 .

ولكن البرتغال اعترضت فنقضت هذا الخط الوهمي 360 فرسخا غربا وأصبحت البرازيل للبرتغال ورضيت إسبانيا بهذا التقسيم فأبرمت معاهدة توردیسیلاس 1494م بين اسبانيا والبرتغال لتثبيت هذا الخط الوهمي بينهما .[1]

[1] – محمد السيد أشرف صالح : المرجع السابق ، ص 78 .

الفصل الثالث : علاقة الكشوف الجغرافية بالحركة الاستعمارية في الوطن العربي وأثرها .

1- دور الكشوف الجغرافية في ظهور وانتشار الاستعمار .

2- التعريف بالاستعمار أسبابه ودوافعه .

3- الاستعمار البرتغالي في الوطن العربي :

أ- طبيعة الاستعمار البرتغالي في المشرق العربي .

ب- السياسة البرتغالية في المغرب العربي .

4- الاستعمار الإسباني في شمال إفريقيا .

5- مقاومة العالم العربي الإسلامي للاستعمار البرتغالي والاسباني .

أ- الصراع العثماني الإسباني والبرتغالي .

ب- القوى الوطنية في مواجهة الاستعمار الغربي .

6- نتائج وآثار الاستعمار الأوروبي على البلاد العربية .

خلال القرن 14 و 15م اختل التوازن بين قوى جنوب غرب أوروبا وشمال غرب إفريقيا واتهمت شعوب شمال إفريقيا بالقرصنة كما دخلت في حروب داخلية وخارجية تكالبت ضدها دول ومماليك أوروبا واشتدت الغارات بصفة فردية أو جماعية مدعمة من قبل الكنائس المختلفة والبابوية خاصة المباركة لكل عمل ضد الإسلام والمسلمين ، واتسمت هذه العمليات بالوحشية وتخريب وسلب الأموال باعتبارها عملا مشروعا يدخل في إطار الحرب الصليبية المستمد نهايتها في الشرق وبدايتها في الغرب وساعدهم في ذلك نجاح الاسبان في استعادة الأندلس وطرد المسلمين منها ونجاح العثمانيين في فتح شرق أوروبا وبسط نفوذهم عليها .[1]

فقد باركت الدول الأوروبية وحكوماتها القرصنة كمصدر للربح وكوسيلة فعالة لتحطيم القوة الإسلامية المتنامية وتمهيد الطريق للسيطرة على بلدانهم ، ومن ضمن الأسباب والدوافع التي لعبت دورا أساسيا في نموها هي ظهور الدول الوطنية بأوروبا ورغبتها في التوسع خارج القارة الأوروبية ، خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد وبداية ظهور بوادر الثورة الاقتصادية غذى هذا التوجه الحقد الصليبي وفقدان الكاثوليكية لمركزها في أوروبا كموروث عن الحروب الصليبية ضد الشعوب الإسلامية والرغبة في الانتقام منها وتفاعل هذا مع رغبة الاسبان والبرتغاليين لوضع حد لنشاط مسلمي الأندلس المطردين ومنع البلدان الإسلامية المغاربة من تقديم العون والمساعدة لهم وذلك باحتلال مواقع إستراتيجية واتخاذها منطلقا للتوسع الشامل داخل البلاد لاستغلال الثروات الاقتصادية والبشرية .[2]

[1] – حسين المؤنس : " تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي " ، ج 2 ، مجلد 2 ، ط 1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992 ، ص 350 .

[2] – نفسه ، ص 351 .

1- دور الكشوف الجغرافية في ظهور الاستعمار :

فقد ولد الاستعمار الحديث في حجر الكشوف الجغرافية ولا نقول في رحمها ، حيث قبلت الكشوف الجغرافية إستراتيجية العالم القديم من صميمها ، فأولها مع اتساع أبعاد العالم اتسعت أبعاد الصراع بين القوى وخرج الاستعمار لأول مرة عن دائرته التقليدية المغلقة حول حوض البحر المتوسط وانتقل الاستعمار من عالم متناه إلى عالم لا متناه ، وبعد أن كان محليا أو إقليميا أساسا أصبح عالميا تماما .[1]

فقد كانت للكشوف الجغرافية لمناطق جديدة في الأمريكيتين وإفريقيا وكشف مواردها بداية الاندفاع والتكالب الأوروبي على هذه المناطق ومن هنا نبرز مدى الارتباط الوثيق ما بين حركة الكشوف والاستعمار .[2]

ظف إلى ذلك فقد أدت الكشوف الجغرافية إلى نشأة الاستعمار وازدياد تنافس الدول الأوروبية في السيطرة والتوسع على العالم الجديد وإفريقيا وآسيا ، فوقعت مشاحنات بين الدول لأجل هذا الغرض ، فقد كانت تقيس الدول عظمتها بكثير الأراضي التي تسيطر عليها ، ومن هنا كانت بداية التوسع والاستعمار الأوروبي الذي استمر قرونا وكان سببا في تغيير مجرى التاريخ الحديث .[3]

---

[1] – جمال حمدان : " إستراتيجية الاستعمار والتحرر " ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983 ، ص 50

[2] – شوقي عطا الله الجمل وآخرون : المرجع السابق ، ص 75 .

[3] – ميلاد أحمد المقرحي : " تاريخ أوروبا الحديث 1453م – 1848م " ، ط 1 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1996 ، ص 74 .

2- التعريف بالاستعمار وأسبابه ودوافعه :

أ- المقصود بالاستعمار :

وقد بدأ الاستعمار الغربي للعالم مع بداية عصر النهضة في أوروبا بحيث استفاقت أوروبا على وقع طبول الإصلاح الديني والسياسي في القرن الخامس والسادس عشر ، فمنذ أفاقت أوروبا بدأت تحركها للإطباق على العالم الإسلامي ، فانتشرت المراكب الاستكشافية تجوب البحار بحثا عن تحقيق أهداف الاستعمار المختلفة الدينية والسياسية والاقتصادية .[1]

- مفهوم الاستعمار :

الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عَمَّرَ ، واستعمر في المكان أي جملة يعمره ، ومنه قوله تعالى : << هو أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها >> (هود : الآية 61) .

فالأصل اللغوي يفيد معنى طلب التعمير والسعي لتحقيق العمران ، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي .

ويعرف الشهابي وحبنكة الاستعمار موافقين لما جاء في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة .[2]

---

[1] – منقد بن محمود السفارة : " الاستعمار في العصر الحديث ودوافعه الدينية " ، د ط ، مكة المكرمة 1427هـ ، ص 05 .

[2] – نفسه ، ص 6 .

الاستعمار هو << امتداد نفوذ لدولة ما إلى دولة أخرى على أن يصحب هذا النفوذ استغلال للأرض والسكان لصالح الدولة صاحبة النفوذ >> ، إذن فهو اغتصاب وليس استعمار .[1]

فالاستعمار هو امتداد السيطرة السياسية والاجتماعية على منطقة ما من قبل دولة تملك تفوقا وتنظيما وتكنولوجيا .

وعرفه الدكتور كومي كروما بأنه : سيطرة دولة على دولة أخرى واستخدام هذه الدولة المستعمرة قوتها الصناعية المتفوقة لإخضاع شعب آخر واستغلاله اقتصاديا .

فالاستعمار من وجهة كروما : السياسة التي به ترتبط وتفيد الدولة الأم مستعمراتها وتوجيهها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية الخاصة .[2]

إذن فإن الاستعمار هو ظاهرة رأس مالية وظاهرة عنصرية ، وهي حركة تستذل الشعوب حيث تخضع هذه الشعوب إلى تضعيف مناطق نفوذه منظومات دول معينة ، ويهدف كذلك إلى السيطرة على البلدان ونهب ثرواتها وتحويلها إلى أسواق لمنتجاتها الصناعية .[3]

[1] – زاهر رياض : " استعمار إفريقيا " ، د ط ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1384هـ ، 1956م ، ص 6 .

[2] – شوقي عطا الله الجمل وآخرون : المرجع السابق ، ص 15 .

[3] – برون جفري : " تاريخ أوروبا الحديث "، د ط ، تر ، علي المرزوقي ، منتديات مجلة الابتسامة الأهلية ، د.س ، ص 159 .

ب- أسباب ودوافع الاستعمار الأوروبي :

لقد تضافرت عدة أسباب ودوافع دفعت الأوربيين للاستعمار هي :

- **الدافع الديني :** وهو العمل على نشر الديانة المسيحية والحضارة فقد أصبح الهدف الديني يتخذ وسيلة لتبرير الاستعمار ، فكان كثيرون من رجال الدين دعاة الاستعمار .

والدليل على الدافع الديني وراء الحركات الاستعمارية في ذلك الوقت أن البابوية باركت هذه الحركات وبادرت بالتدخل بغض النزاع بين الدولتين الاستعماريتين البرتغال وإسبانيا ، فقد كانت البعثات التبشيرية ممهدة للاستعمار .[1]

- **أسباب اقتصادية :** البحث عن المواد الأولية لتموين مصانع أوروبا بفعل تزايد الطلب المترتب عن تطور الثورة الصناعية ، والبحث عن أسواق لتصريف فائض الإنتاج بفعل مضاعفة الإنتاج الناتج عن تطور الثورة الصناعية ، فأصبح الإنتاج يفوق الاستهلاك وفي هذا الإطار تطور إنتاج المنسوجات القطنية ، وكذلك البحث عن مجال لاستثمار رؤوس الأموال بفعل صعوبة توفر ذلك في أوروبا نتيجة تزايد عدد الرأس ماليين الذين لم يجدوا مجالا لاستثمار رؤوس أموالهم في أوروبا .[2]

[1] – عبد الله عبد الرزاق وآخرون : " تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر " ، ط 2 ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2002 ، ص 50 .

[2] – عبد الحميد البطريق : " التيارات السياسة المعاصرة (1815م – 1960م) " ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1974 ، ص 68 .

- **الأسباب السياسية والعسكرية** : تتمثل في الرغبة في إقامة إمبراطوريات كبرى تهيمن على العالم ، ظف إلى ذلك الرغبة في استرجاع أمجاد القومية ويظهر هذا التوجه خاصة في ايطاليا وألمانيا اللتين لم تدخلا حلبة المنافسة الاستعمارية إلا بعد استكمال وحدتها سنة 1870م ، حيث امتدت السياسة الاستعمارية من أجل تحقيق القوة ومنافسة فرنسا وبريطانيا اللتين كانتا قد استولتا على معظم المستعمرات في إفريقيا وآسيا .

كذلك البحث عن مناطق لإقامة القواعد العسكرية ، فإن ضمان الاتصال بالمستعمرات وتأمين طرق المواصلات وتكريس الهيمنة عليها يتطلب وجود قواعد عسكرية في المناطق الإستراتيجية لحماية الأساطيل التجارية والتدخل بسرعة في حالة حدوث ثورة في المستعمرات إضافة إلى ذلك فإن هذه القواعد العسكرية تمكن الدول من فرض هيمنتها وتحقيق النصر في حالة قيام مواجهة عسكرية ، وفي هذا الإطار احتلت بريطانيا جبل طارق ، جزيرة مالطا جزيرة قبرص وقناة السويس وغيرها من المناطق الإستراتيجية .[1]

- **الأسباب الاجتماعية** : البحث عن مال لإسكان فائض السكان ، لقد مكنت الثورة الصناعية عن إنتاج أدوية وضعت الحد لكثير من الأوبئة التي كانت تفتك بعدد كبير من السكان ، إضافة إلى تحسين ظروف العمل بفعل استعمال الآلة الأمر الذي أدى إلى انخفاض نسبة الوفيات وازدياد عدد السكان ففي انجلترا وبلاد الغال تضاعف عدد السكان مرتين بين 1851م و 1911م وأصبح عددهم 36 مليون نسمة .[2]

[1] – عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص 69 .

[2] – نفسه ، ص 71 .

كما تطورت المدن بفعل الهجرة الريفية فلندن عرفت بفعل ظهور الصناعة بها هجرة العديد من السكان من مناطق الريفية نحوها الأمر الذي أدى إلى مضاعفة عدد سكانها بـ 6 مرات خلال القرن 19م ، وفي هذا الإطار عمدت فرنسا وبريطانيا وهولاندا وغيرها من الدول الاستعمارية إلى تشجيع الهجرة نحو إفريقيا وآسيا للتخلص من فائض السكان .

كذلك البحث عن مجال للتخفيض عن أزمة البطالة نظرا لاستعمال الآلة وتزايد الطلب على العمل بفعل الهجرة الريفية لجأت الدول الأوروبية إلى الاستعمار لإيجاد مجال لتشغيل البطالين من خلال الاستثمار في مختلف المجالات والتخلص من العناصر الغير المرغوب فيها . [1]

[1] – عبد الحميد البطريق : المرجع السابق ، ص 69 .

3- الاستعمار البرتغالي في الوطن العربي :

من أهم ما تميز به الغزو البرتغالي هو شموليته للمغرب والخليج العربي ، فقد كان يهدف إلى تطويق المنطقة العربية باستيلاء على منافذها البحرية ونقاطها الإستراتيجية قصد القضاء على الوساطة العربية ، أي ضرب الاقتصاد العربي في الصميم وبالتالي إحداث خلل اجتماعي بالمنطقة .

أ- طبيعة الاستعمار البرتغالي في المشرق العربي :

فقد كانت السياسة البرتغالية في المشرق العربي بمرتبطة بهدف واضح وهو القضاء على الوساطة العربية مابين أوروبا والمناطق الأسيوية المنتجة للتوابل والعقاقير والعطور والذهب ثم تحويل فوائد تلك التجارة لتصب في أيدي البرتغاليين ، وقد تركزت خطط البرتغاليين العمل على إغلاق طرق التجارة العالمية في المحيط الهندي وانتزاعها من أيدي العرب المسلمين خصوصا تلك الطرق التي تمر بطريق الخليج العربي والبحر الأحمر ، كما عمل البرتغاليين على تخريب الموانئ العربية في الخليج العربي والبحر الأحمر ، وبالذات في ساحل عمان وهرمز وعدن وباب المندب .[1]

كما أن السياسة البرتغالية كانت تهدف إلى تدمير المقدسات الإسلامية في الحجاز وفي المياه الشرقية الإسلامية ، وقد اتبع البرتغاليون فعلا في سيطرتهم على البحار والمحيطات سياسة صليبية لا إنسانية ضد العرب .[2]

---

[1] – محمد حميد السلمان : " الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين 1507 – 1525م " ، د ط ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، 2000 ، ص 143 .

[2] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : " دراسات في تاريخ المغرب والأندلس " ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999 ، ص 31 .

حيث أن الروح الصليبية قد سيطرت على ضباط البحرية البرتغالية وما يجسد هذه الحقيقة الضابط البحري ألفونسو دي البوكيرك 1515م – 1453م الذي استهل حياته العسكرية في الجيوش البرتغالية على ساحل المغرب العربي ثم انتقل إلى ميدان الصراع الصليبي في بحار الشرق ، وقد تم تكليف البوكيرك من قبل إمانويل الثاني ملك البرتغال بإعداد مشروع يهدف إلى إنشاء إمبراطورية في الشرق ، وكان أبرز ما استهدفه البوكيرك تحطيم مملكة هرمز التي كانت تتمتع بثراء كبير طيلة العصور الوسطى ، ويمكن تأريخ العمليات العسكرية البرتغالية في الخليج العربي* حين تحركت ستة عشر سفينة برتغالية في عام 1507م يقودها البوكيرك ، وكان يهدف من وراء هذه العملية السيطرة على هرمز باعتبارها منفذا للخليج وكانت أقوى تنظيم سياسي وعسكري في المنطقة .[1]

وقد عرف عن البوكيرك العنف والصلابة وما يدل على ذلك إقدامه وهو متوجه إلى هرمز إلى إغلاق جميع السفن التي صادفها في طريقه معلنا بذلك الحرب على كل من يقف في وجه البرتغاليين ، كما قام بإشعال النيران في الموانئ التي مر بها مثل قريات ومسقط وبالتالي كان خليج عمان أول منطقة تعرف وحشية الغزو البرتغالي .[2]

[1] – صلاح العقاد : " التيارات السياسية في الخليج العربي " ، د ط ، دار الورق ، القاهرة ، 1947 ، ص 14 .

* الخليج العربي : نعني بها الكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، التي ظهرت للوجود كدولة مستقلة في عام 1971م . أنظر . رأفت الشيخ : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية اسباتس الهرم ، 1994 ، ص 141 .

[2] – جون جوردن لوريمر : " دليل الخليج " ، القسم التاريخي ، ج 1 ، ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، 1997 ، ص 06 .

وقد اعتمد البوكيرك عل أحد المرشدين العثمانيين واعتمد على الخرائط التي أنجزها والذي دله على موانئ هرمز وقد شهدت العمليات العسكرية الأولى ورغم قسوتها مقاومة عربية ومن الأمثلة على ذلك تلك المقاومة التي وجدها البوكيرك عندما وصل إلى مسقط حضر وفد كبير من شيوخ بني جبر وطالبو من البوكيرك عدم تدمير مدينتهم مقابل إعلان تبعيتهم للبرتغال .

وما إن وطأت أقدام البرتغاليين المنطقة بعد وصولهم إلى مصادر التجارة الشرقية حتى نشب صراع بينهم وبين المسلمين استطاعوا أن يقضوا على وساطتهم التجارية ، وفي ستة 1514م قام البوكيرك بزيارة إلى هرمز ، وتم من خلالها توقيع اتفاق بين الفرس والبرتغاليين سمح بموجبه لملك هرمز بالاستمرار في السلطة باسم ملك البرتغال وعين ابن أخيه بيرو قائدا على قلعة هرمز ورحل البوكيرك إلى الهند وكانت حالته الصحية متدهورة ، حتى إنه مات في جزيرة جوا في فبراير 1515م عقب وصوله إليها مباشرة .

وبعد وفاة البوكيرك تم تعيين سواريز بدلا منه ، هذا الأخير اتبع سياسة مغايرة تماما حيث كان يهدف إلى إنعاش التجارة البرتغالية بطريقة سلمية دون اللجوء إلى الحرب ، وفي عهد سواريز تغيرت معالم السياسة من تحقيق مكاسب اقتصادية وتجارية .[1]

[1] – جون جوردن لوريمر : المصدر السابق ، ص 08 .

وفي عام 1520م تعرضت البحرين لهجوم برتغالي وذلك أثناء غياب السلطان مقرن بن زامل الذي كان مسافرا إلى مكة لتأدية فريضة الحج وتولى أمر المقاومة الشيخ حميد وهو أحد أقرباء السلطان ، وبعد عودة الشيخ مقرن بن زامل قام بجمع ما لديه من قوات في البحرين والقطيف وعاود بعدها البرتغاليون الهجوم في سنة 1521م وكانت الحملة البرتغالية تتكون من الفرس والعرب والبرتغاليين بقيادة أنطونيو دي كوريا الذي يعرف باسم بطل البحرين ورغم المقاومة التي أبدتها قوات الشيخ مقرن إلا أنها لم تصمد أمام القوات البرتغالية التي تمكنت من الإنزال قرب المنامة ، وانتهى الأمر بنجاح البرتغاليين في احتلال البحرين ثم تعيين حاكم هرمز على البحرين معتمدا على حماية برتغالية ، كما قام البرتغاليون ببناء قلعة ضخمة في الجزيرة ، ورغم سيطرة البرتغاليين على البحرين إلا أنهم لم يتمكنوا من التوغل إلى القطيف* بسبب المقاومة العنيفة وخوفا من أن يجرهم العرب إلى داخل الجزيرة العربية .[1]

كما اعتمد البرتغاليون في سيطرتهم على المشرق العربي على توقيع المعاهدات ومثال على ذلك معاهدة ميناب 1523م ، وهي المعاهدة التي عقدها دورات ميز نائب الملك في الهند مع أمير هرمز الجديد محمد الشاه واستندت تلك المعاهدة على معاهدة سابقة التي عقدها البوكيرك مع سيف الدين .[2]

---

[1] – محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس أبو البركات ، تحقيق مصطفى محمد : " بدائع الزهور في وقائع الدهور " ، ج 5 ، د ط ، مطابع الشعب ، القاهرة ، 1960 ، ص 131 .

* القطيف : تقع القطيف في منتصف الخليج بين العراق وعمان ، وهي تتمة للمثل الزراعي << القطيف البحرين والإحساء >> والمثلث الملاحي << القطيف البحرين وقطر >> ومثلث شمال الخليج <<الإحساء الخليج والبصرة >> وموقعها الملاحي وإنتاجها الزراعي جعل منها موقعا مهما ، أنظر : علي بن إبراهيم الدرورة ، " تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف 1521م – 1572م المجتمع الثقافي ، أبو ضبي الإمارات العربية المتحدة ، 2001 ، ص 21 .

[2] – المرجع نفسه .

وبموجب هذه المعاهدة تعهد أمير هرمز بتسليمها للبرتغاليين متى طلب ذلك ملك البرتغال وإن كانت المعاهدة قد اعترفت للشاه بالحكم إلا أنه كان واضحا فقدانه لسلطانه وخضوعه للإدارة البرتغالية ، كما يهدف البرتغاليين من خلال تعزيز مكانتهم في هرمز والسيطرة على الحركة التجارية في الخليج العربي ، لقد أخذ البرتغاليون يحولون حمايتهم المقنعة لهرمز إلى تسلط عسكري ، كما أخذوا في إخضاع المملكة والمناطق التابعة لها بشتى الطرق والأساليب حتى إن سكان المملكة أخذوا يهاجرون إلى جزر وموانئ الخليج العربي .[1]

ورغم سيطرة البرتغاليين على حركة التجارة في هرمز وموانئ غرب الهند ومسقط والبحرين إلا أنهم فشلوا في السيطرة على مراكز أخرى مثل عدن وجدة ومن ثمة خسروا الحصار التجاري على البحر الأحمر وبعدها سقطوا في أيدي الهولنديين ، وبذلك فإن العمليات البرتغالية لم تأثر إلا جزئيا على التجارة في عدن وجدة والسويس ، وبذلك لم يكتب للبرتغاليين القضاء على التجارة العربية كما خططوا .[2]

ولقد فشلت السياسة البرتغالية في السيطرة على طرق التجارة التي بقيت تحت أيدي العرب حيث استمرت التجارة في المرور إلى البصرة والقاهرة رغم حصار الأسطول البرتغالي في المحيط الهندي على الموانئ والسفن التجارية العربية ، وكانت تجارة الخليج تمر عبر الخليج العربي والبحر الأحمر .[3]

[1] – محمد بن أحمد الحنفي ابن إياس أبو البركات : المصدر السابق ، ص 31 .

[2] – محمد حسن العيدروس : " سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي " ، د ط ، دار المتنبي للطباعة والنشر ، أبو ضبي ، 1995 ، ص 12 .

[3] – أحمد بوشهاب : " التنافس الاستعماري في الخليج العربي " ، مجلة الخليج العربي ، العدد 1 ، 1989 ، ص 14 .

ب- السياسة البرتغالية في المغرب العربي :

لقد جاءت الاعتداءات البحرية البرتغالية كصدى لسقوط القسطنطنية في يد المسلمين فهبت البابوية تدعو ملوك المسيحية إلى تنظيم حملات صليبية جديدة ضد الإسلام والمسلمين وقد لبى البرتغاليون هذه الدعوة فسبقوا غيرهم إلى التوسع الصليبي الاستعماري فوجهوا عدوانهم إلى موانئ القريبة الواقعة على المحيط الأطلسي وعلى الساحل الشمالي الغربي من المغرب الأقصى فملكوا في مدة نصف قرن مجموعة ثغور إستراتيجية منها سبتة طنجة ، القصر الصغير ، أرزيته ، أغادير ، أسفي وأزمور وكالات تجارية لتحقيق الفرض الاقتصادي ، لم ينجح المغرب الأوسط في حملاتهم إذا سبق لهم أن احتلوا مدينة المرسى الكبير بين 1415 – 1477م ثم أبعدو نهائيا عنها إلى أن احتلها الاسبان سنة 1505م كما سقط كامل الساحل المغربي على المحيط الأطلسي في يد البرتغاليين .[1]

فقد احتل البرتغال سبتة في 21 أوت 1415م وفي مدينة مغربية على الساحل الجنوبي في منتصف جبل طارق التي تمثل مفترق الطرق بين المحيط والمتوسط التي لعبت دورا هاما في مراقبة مد حدود المملكة إلى غاية جزر الملوك ، كما مكنته من الاستيلاء على البحر والمحيط انطلاقا من السواحل المتوسطية مستفيدا من انتعاش تجارة الذهب خاصة تلك التي تصل إلى أوروبا وبدأت البحرية التجارية المتركزة في سبتة تسيير القوافل التجارية نحو أوروبا وتحولت بذلك من مجرد ميناء متوسطي عديم الفائدة التجارية خلال القرن 14 .[2]

[1] – سعيد النجار : " تاريخ الفكر الاقتصادي " ، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص ص 18 ، 19 .

[2] – شوقي عطا الله الجمل : " المغرب الكبير في العصر الحديث " ، ط 1 ، المكتبة الأنجلو أمريكية ، مصر ، 1977 ، ص 46 .

إلى مركز تخزين الذهب القادم من السودان ، الأمر الذي دفع البرتغال إلى تكريس مبدأ الاحتلال والاحتفاظ بالمستعمرات والغزو بحجة الدفاع عن الملاحة في سواحل المملكة المسيحية المعرضة للهجمات البحرية الإسلامية .[1] كاختيار إستراتيجي للمملكة رغم أن الهدف الحقيقي لهذا العمل هو إلهاء الطبقة النبيلة بعيدا عن التاج ، ودفعهم إلى الحرب ضد المسلمين وحروب القرصنة والحصول على بركة البابا ومساعدته المادية من أجل متابعة الحرب على المغرب التي تشكل فائدة لروما وقد ساهمت سبتة إلى تشكل أول خطوة للمخطط الواسع لجعل شمال إفريقيا مسيحيا مما دفع البابا ورجال الكنائس في البرتغال إلى المساهمة والدعم للحملات الهادفة للسيطرة على طنجة مدفوعة بدوافع جديدة اقتصادية بحتة غير أن البرتغال سرعان ما غير سياسته بعد وفاة الملك جون الأول عام 1433م عندما وضع خليفته ألفونس مشروع الحرب الشرقية في إطار الحرب ضد الإسلام التي أخذت شكلا صليبيا إثر فتح القسطنطنية لإعداد لحملة جديدة تجاه الشرق غير أنها لم تتم في المقابل سيطرة على القصر الصغير عام 1458م كموقع متقدم للدفاع عن سبتة ، وهذه السيطرة عل الميناءين سبتة والقصر الصغير بالإضافة إلى ميناء أسيلا وطنجة عام 1451م تحصل البرتغال على الحق في العرائش والدار البيضاء ، غير أن تزايد أطماع البرتغاليين خارج العالم القديم وجه أنضار الرأي العام البرتغالي نحو الهند وأصبح المغرب في إستراتيجية البرتغال نتيجة لذلك منطقة عبور بنسبة للثروة .[2]

[1] – شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص 46 .

[2] – Christophe (picard) : La course a loceam Atlantique , centre cultural portugais , 1978, p p 68 , 70 .

خاصة من قبل الطبقة النبيلة البرتغالية رغم كل المحاولات والجهود المبذولة فإن عمليات التوسع لم تتعدى الساحل مشكلة سلسلة من المستعمرات من المدن الساحلية وأصبحت تعمل في شكل حدود خارجية للبرتغال ، ظلت وظيفتها تسهيل النشاط التجاري خاصة في ضل الجهد العسكري والمالي الذي أنفقته الملكة عليها من الوضع كان يتطلب أموالا كثيرة مما اضطرها في النهاية إلى الانسحاب من السباق .[1]

4- السياسة الإسبانية في شمال إفريقيا :

إن إسبانيا والبرتغال اتفقتا على اقتسام المغرب العربي بينهما ، على أن يكون المغرب الأقصى من نصيب البرتغال وأن تكون الجزائر وتونس وغيرها من نصيب اسبانيا .

إن اسبانيا ابتدأت توسعاتها إثر تحطيمها مملكة الأندلس واستيلائها على غرناطة .[2]

حيث بنت إسبانيا سياستها على الضغط على ملوك المغرب إلى حين دفعهم لقبول الحماية الإسبانية .[3]

وكانت إسبانيا تعتمد في سياستها على تركيز نفوذها في المدن والموانئ مما شجع على تركيز السلطة فيها في أيدي القوات البحرية القادرة على مواجهة الأخطار المحيطة خاصة المراكز الهامة تونس ، مدينة الجزائر والمغرب الأقصى و طرابلس .[4]

---

[1] - Christophe (picard) : ibid , pp 85 , 89 .

[2] – أحمد الشريف الزهار ،: " مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1745-1830م " ، تحقيق ، أحمد توفيق المدني ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 06 .

[3] – عمر محمد عبد العزيز ، الفوزي محمد علي : " دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815-1950 " ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999 ، ص 13 .

[4] – فيشر هربرت : " أصول التاريخ الأوروبي الحديث " ، ترجمه ، زينب راشد وأحمد عبد الرحيم ومصطفى ، مراجعة ، أحمد عزب وعبد الكريم ، د ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1970 ، ص 70 .

وكان منطلق هذه العمليات هو ميناء المرسى الكبير الذي يتمتع بموقع هام والصلاحية التي بها لترسو السفن كأول مركز استعماري حقيقي على الساحل الإفريقي وقد بنيت سياسة الإسبان بإضافة إلى التقتيل والتخريب على استئصال كل ما هو مسلم وإخلاء مدن بأكملها سواء بالأندلس أو المغرب الإسلامي والإضرار بالموانئ لضرب الحركة البحرية بالبحر المتوسط[1] ، ونقل الضغط نحو شمال إفريقيا كما أن الإسبان في إستراتيجياتهم لم يحاولوا التوغل نحو الداخل واكتفوا بالانتصار السياسي والحربي .

لأنهم كانوا يرون وجوب إخضاع المغرب العربي ولذلك عملوا على احتلال المدن الساحلية وحصر المسلمين داخل البلاد وقد نجحوا في تنفيذ هذه السياسة بفعالية عالية من خلال عمليات سريعة .[2]

كما قاموا بزحف من المراكز الساحلية المحصنة إلى داخل البلاد وإخضاعها ، وهذه السياسة لم تنجح فكلف فرديناند وإيزابيلا دوق مدينة سيدونيا باحتلال مدينة مليلة في سبتمبر 1496م والتي حولت إلى منطلق لبعثات الاستطلاع عن الوضع العام ومدى تقبل القبائل للتعامل مع المسيحيين .[3]

[1] – فيشر هربرت : المرجع السابق ، ص 70 .

[2] – نوشي أندري بريان أندي لاكوست إيف : الجزائر بين الماضي والحاضر ، ترجمه ، إسطمبولي رابح ، د ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 ، ص ص 116 ، 122 .

[3] – أحمد توفيق المدني : " حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792م " ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976 ، ص ص 100 ، 114 .

وكان أول مرسى أخذه الإسبان هو المرسى الكبير سنة 1505م حيث الكاردينال خمينيس* الذي يعتبر الموجه والمنفذ للمشاريع التوسعية الإسبانية على المدن والموانئ الجزائرية بمباركة العرش الأزاغوني ، ووقع الاختيار على المرسى الكبير كنقطة إنزال تحت نصيحة جيرو تيموفبانيلي ، وهو جاسوس ايطالي من البندقية جاء إلى وهران متسترا ومتنقلا في نواحيها فوضع خريطة لمدينة وهران والمرسى الكبير وكانت مكافئته قيادة جزء من الأسطول الاسباني ليلا وتحديدا في كاب فالكون مكن المهاجمين من حصار الموقع وعزله عن داخل البلاد لمدة فاتت 50 يوما وسقطت في أكتوبر رغم المقاومة البائسة لحماية المرسى الكبير بعد مقتل قائدها ، وسلم الحصن بعد ذلك وبشروط مشرفة لتصل النجدات من تلمسان والمناطق المجاورة لها متأخرة وتمكن الإسبان من التحصين داخل أسوار المرسى . [1]

[1] – نجيب دكاني : " الوجود الاسباني على السواحل الجزائرية ورد الفعل الجزائري خلال القرن السادس عشر " ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر ، 2002 ، ص 25 .

* الراهب خمينيس : فراي دون فرانسيسكو خمينيس سيسنيروس ولقب بالكاردينال ، ولد في قشتالة 1436 – 1517م ثم تعينه أمينا لسر المملكة 1492 ثم رئيسا لمحاكم التفتيش 1506–1516م وفتح وهران 1509م اشتهر بقسوته الوحشية في إبادة المسلمين وكان المحرض الأساسي لاحتلال مدن المغرب في محاولة لتنصير مسلمي المغرب ، أنظر : أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 114 .

- احتلال وهران :

قام الكاردينال خمينيس بتجهيز حملة كبيرة للقضاء على المسلمين في المغرب وما إن أكمل استعداده حتى أبحر من مرسى قرطاجة الإسبانية في يوم 19 ماي 1509م بقوة 15 ألف مقاتل حيث وصلت هذه الحملة في اليوم التالي إلى المرسى الكبير ، ونزلت الحملة إلى البر دون أدنى عائقا فهيأ حاكم المرسى الكبير حربه إذ أنه اشترى ذمة بعض من قابض المكوس وهم القائد عيسى العربي وابن القابض وتلقوا أمر فتح الأبواب بمجرد وصول الحملة وبداية الحصار كما اتخذ كل الاستعدادات لمساعدة هذه الحملة ، ليس من أجل النزول في المرسى فحسب بل من أجل بلوغ هدفها في وهران ، كما تمكن من شراء ذمة قابض المكوس العام لمدينة وهران اليهودي سطورا .[1]

استعدت الحامية في وهران للقاء القوات الاسبانية واصطدموا بها خارج المدينة وأرغموا على العودة إلى المدينة بسبب تفوق الاسبانيين على المسلمين بالأسلحة النارية ، وبينما كان المسلمين على الأسوار كانت القوات الإسبانية تتجمع أمام أحد الأبواب الذي قام الخونة بفتحه فدخلت القوات الاسبانية عبره ، واستمرت المقاومة حتى قضى على رجال المدينة كما قام خمينيس من اختلاس الآثار من المخطوطات العربية والزهريات وبعض التحف الأثرية .[2]

[1] – جون ب وولف ، ترجمة وتعليق ، " الجزائر و أوروبا " ، ترجمه ، سعد الله أبو القاسم ، طبعة خاصة ، دار الرائد ، الجزائر ، 2009 ، ص 129 .

[2] – نفسه .

- غزات الإسبان على مدينة الجزائر :

لقد غزي الاسبان الجزائر مرات عدة وذلك قبل دخول الأتراك إليها حيث تمكنوا من امتلاك برج مرساها الذي بوسط البحر كما تمكنوا من احتلال بجاية ، وفرضوا الضرائب عل أهل متيجة .[1]

- احتلال طرابلس :

لم تتم عملية احتلال طرابلس بعد جهد كبير في 25 جويلية 1510م حيث وضعوا بها الإسبان حامية تتألف من خمسة آلاف جندي ، ثم توجه الأسطول للاستيلاء على جربة غير أن المقاومة الدامية حالت دون نجاح بيدرو نفارو في احتلالها وتم تكرار هذه العملية عند قرقنة إذ تم إبادة الحملة الاسبانية بها واضطر الاسبان أمام هذه النكسة الجديدة العودة إلى بجاية عام 1511م فتم عزل بيدرو نفارو وغادر بجاية نهائيا في جوان 1511م [2]، ولم تؤثر جربة عام 1511م في قوة انتصارات الإسبانيين والتي احتفظت دائما بشكلها الصليبي وأخذت الموانئ الأخرى الباقية تخشى من أن ينزل بها ماكان قد نزل بالمرسى الكبير ووهران وبجاية ، وطلبت تنس ثم دلس وشرشال ومستغانم في شهر ماي 1511م أن تدفع الجزية وسلمت الجزائر لبيدرو نفارو إحدى الجزر القريبة من الساحل والتي كانت تحمي مرساها وأصبحت اسبانيا في فترة سنوات بسيطة تسيطر على كل المواقع الرئيسية والنقط الحصينة الموجودة على الساحل .[3]

---

[1] – الأغا بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19م ، تحقيق ، يحي بوعزيز ، ج 1 ، د ط ، دار البصائر 2009 ، ص 218 .

[2] – أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص ص 143 ، 145 .

[3] – جلال يحي : " تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر " ، د ط ، المكتب الجامعي الحديث ، الأزاريطة ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 60 .

5- مقاومة العالم العربي الإسلامي للاستعمار البرتغالي والإسباني

أ- الصراع العثماني البرتغالي والإسباني :

قبل استعراض أهم العمليات البحرية العثمانية ضد التواجد البرتغالي في المشرق العربي وجب الإشارة إلى أن هناك عدة عوامل وظروف ساهمت في عدم تحقيق الدولة العثمانية لنتائج هامة في صراعهم ضد البرتغاليين ، ولعل من أبرزها الصراع الذي كان ضد الدولة الصفوية في فارس وكذا فشل العثمانيين في تجميع القوى الإسلامية المنتشرة على ساحل الخليج العربي والجزيرة العربية ، وهو ما زرع الشك في تلك القوى المحلية ورغم تقارب المصالح والعدو المشترك وكذا اتساع ساحة المواجهة البرتغالية التي تعدت الخليج إلى البحر الأحمر إلى الجزء الغربي من المحيط الهندي .[1]

ورغم الضعف الذي يمكن ملاحظته في صفوف القوة البحرية العثمانية بالمقارنة مع نظيرتها البرتغالية إلا أن المواجهة العسكرية بين القوتين استمرت لأكثر من ثلاثين عاما وذلك في الفترة الممتدة بين 1550م و 1583م ، رغم توقف المواجهة من حين إلى حين بسبب عدم وجود قواعد عسكرية للبحرية العثمانية بالمنطقة ، والتي حالت دون مواصلة الصراع ضد البرتغاليين .[2]

ولقد تميزت تلك السنوات بجملة من التغيرات السياسية والعسكرية بالمنطقة كالانتصار العثماني على الصفويين والسيطرة على البصرة التي تحولت إلى قاعدة بحرية .[3]

---

[1] – الشاري عبد العزيز :" المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزيرة العربية " ، ج 2 ، دار الثقافة للطباعة ، الدوحة ، قطر ، 1967 ، ص ص 682 ، 687 .

[2] – محمد حسن العيدروس : المرجع السابق ، ص ص 10 ، 12 .

[3] – جمال زكريا قاسم : " الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول 1507 – 1840م " ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1885 ، ص 88 .

تنطلق منها الحملات العثمانية مستهدفة التواجد البرتغالي الذي كان متركزا في الخليج العربي والمحيط الهندي وهناك دارت العديد من المواجهات البحرية بين الطرفين ، كما كان البرتغاليون من حين إلى آخر يقومون بعقد هدنة مع العثمانيين بغية تركيز نفوذهم والتصدي لردود الأفعال العربية التي كانت تستهدف البرتغاليين طيلة تواجدهم بها .

وفي سنة 1550م أرسل العثمانيون حملة بحرية بقيادة سليمان باشا لمقاتلة العثمانيين في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي ، وكان سليمان باشا رجلا طاعنا في السن تمكن من إثارة المسلمين في عدن بعد أن تقدم إليها بحملة بحرية وبدلا من أن يكون عامل توحيد للقوة الإسلامية المحلية صار بسياسته عاملا من عوامل الكره والتفرق ، وذلك بعد قيامه بقتل أمير عدن من أسرة بني طاهر وقد أثرت هذه الحادثة على الأمراء المحليين باليمن الذين لم يرحبوا بتقدم العثمانيين إلى سواحلهم .[1]

كانت السويس ميناء إعداد الحملة وانطلاقها ، والسويس قرية بائسة شبه محرومة من المياه العذبة كانت القرية تعيش في خدمات القوافل الذاهبة إلى القاهرة ومن مرور الحجاج المسلمين إلى مكة والمدينة ، ولكن نشاطها ازداد في وقت الحملات البحرية وتأخر إعداد أسطول حملة سليمان باشا إلى غاية سنة 1538م ، ولما انتهى بناؤه بلغ عدد السفن حالي مائة سفينة وغادر الأسطول السويس ومر بجدة وعدن والحشر والديو وعدن مدينة تجارية تقصدها كل عام سفن قادمة من الهند محملة بالتوابل التي تنقل إلى القاهرة ،[2]

[1] – جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ص 88 ، 89 .

[2] – حسن صالح شهاب : " دور البحرية العثمانية في التصدي للمخطط البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر " ، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية 19–21 نوفمبر 1885 ، الحملات التاريخية عن الخليج العربي والدولة العثمانية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة الإمارات العربية المتحدة ، 1985م ، ص 189 .

وقد ترك بها سليمان باشا ثلاث سفن لحراسة الميناء وحماية عسكرية عثمانية ومر سليمان باشا بمدينة الحشر وأخذ منها ستة سفن ضمها إلى أسطوله ثم اتجه إلى ديو ثم قام الأسطول بمحاصرة القلعة البرتغالية ، هذا الحصار الذي دام قرابة خمسة أسابيع وأصيب فيه المدافعون والمحاصرون بخسائر فادحة ولم يكن حصار القلعة محكما فقد تخلت عدة تغيرات برتغالية إلى الميناء ، وفشل هجوم شامل لاحتلال القلعة قام به الأتراك وخشية من وصول أسطول برتغالي قام سليمان باشا بفك الحصار عن القلعة البرتغالية وعاد أو قفل راجعا إلى السويس وفي طريق عودته مر على مدينة الحشر من جديد ووضع بها حامية عسكرية كما قام بتعزيز الحامية الموجودة في عدن وأضاف إليها مائتي جندي ومائة مدفع ، ثم عاد سليمان باشا من مصر إلى الأستانة وتم عزله بعد فترة وجيزة وتوفي سنة 1553م .[1]

ويقول النهراوي في كتابه اليرق اليماني في الفتح العثماني :

... لما بلغه وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله وقطع جادرة الأفرنج عن أضرار بعباد الله ، فتح له باب عدن وأمر أن تزين وجمع له من البلاد ما أراد من الأزرواد وتوجه هو ووزيره للسلام عليه إلى القراب الذي هو فيه ، فبمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها ، فلما وصل عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري في القراب الذي هو فيه ونهب العسكر المدينة وشرعوا في نهب البلد .[2]

[1] – حسن صالح شهاب : المصدر السابق ، ص 190 .

[2] – قطب الدين محمد بن أحمد النهرواني المكي : اليرق اليماني في الفتح العثماني ، د ط ، دار اليمامة ، المملكة العربية السعودية ، 1967م ، ص 121 .

المحتوى رسالة من السلطان العثماني إلى الملك سبستيان ملك البرتغال ، لأن الملك أرسل من عنده سفير إلى السلطان من أجل إيقاف العداوة بين الدولتين في الهند والمياه الإسلامية في الخليج والمحيط الهندي والبحر المتوسط ، وقد أوضح السلطان العثماني شروطه في الصلح للسفير كما خطاب إلى الملك سبستيان يبين له أن سلطان الدولة العثمانية وقوتها تشمل الشرق والغرب وأن هيمنتها موجودة على جميع الأقطار ، كما أن السلطان العثماني لا يمانع من عقد الصلح من أجل رعاية التجار والعباد في أنحاء الأرض .[1]

كما اصطدم البرتغاليين مع الإسبان في مدن شمال إفريقيا حيث أن العثمانيين كانوا يمثلون القوى الرئيسة في المشرق العربي ، فقد أعلن خير الدين بربروس في الجزائر ولاءه للسلطان العثماني ليستند على قوة العثمانيين في صراعهم مع الإسبان وهكذا أصبحت الجزائر ولاية عثمانية وحاول العثمانيون بمساعدة حكامهم في الجزائر مد نفوذهم إلى تونس فلجأ الأمير الحسن الحفصي للإسبان ، وهكذا اشتد الصراع بين الإسبان والعثمانيين .

وانتهى الصراع العثماني الاسباني في تونس في عام 1574م حين تمكنت حامية عثمانية من بقيادة سنان باشا من القضاء على آخر أفراد الأسرة الحفصية التي كانت تعتمد على مساعدة الإسبان .[2]

[1] – محمد محمود خليل : " وثائق بحرية عن قيادات السويس ودوره العثماني في مواجهة البرتغاليين " ، ج 1 ، د ط ، المديرية العامة للأكاديمية المصرية للتاريخ والتراث والفنون ، د.س ، ص 239 ، أنظر الملحق رقم 4 .

[2] – شوقي عطا الله الجمل ، وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم : " تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر " ، ط 2 ، دار الزهراء الرياض ، الرياض ، 2002 ، ص 88 .

وعلى أية حال فقد شكل العثمانيين تغطية إستراتيجية للحفاظ على أمن العالم الإسلامي في مصر وعالم البحر المتوسط من جهة ، وفي منطقة البحر الأحمر التي تضم الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز من جهة أخرى طول القرن السادس عشر ، حتى انتهى نجم البرتغاليين في البحار الشرقية في نهاية القرن السادس عشر .[1]

[1] – فروق عثمان أباضة : المرجع السابق ، ص 135 .

ب- القوى الوطنية في مواجهة الاستعمار الغربي :

1- في المشرق العربي :

وقف عرب الخليج العربي ضد التدمير والعدوان البرتغالي وشاركوا في معركة ديو البحرية عام 1509م التي لم يكتب النصر فيها للتحالف الإسلامي بسبب قوة الأسلحة التي كانت لدى البرتغاليين ، كما اعتمد الخليجيون على حرب العصابات أو عمليات الجهاد البحري ضد الغارات البرتغالية والإسبانية، وذلك بسبب عدم التكافؤ بين القوى الحربية بين طرفين.[1]

كما شرع العرب سكان الخليج العربي بعد وفاة السفاح البرتغالي البوكيرك في إعداد لثورة تحت قيادة حاكم هرمز على الحكم البرتغالي بحيث امتدت الثورة إلى جميع القواعد والحصون البرتغالية في منطقة الخليج العربي ، فقد كان الحكم البرتغالي حكما صارما اتسم بالجبروت والنزعة التخريبية والتعسف واستنزاف أموال العرب فتوصل عرب الخليج بقيادة ملك هرمز إلى وضع خطة محكمة لإشعال نار الثورة الموحدة ضد الوجود البرتغالي ، ففي 30 نوفمبر 1521م قام رئيس التجار بمهاجمة السفينتين الموجودتين في ميناء هرمز وأشعل النار على سطح إحداهما فكان ذلك إنذارا ببدء الثورة ، فتمكن الأهالي من مهاجمة البرتغاليين وحاصروهم في القلعة ، أما في بقية المناطق فقد تعرض البرتغاليون إلى هجمات منظمة وشهدت الثورة نجاحا عظيما وتعرض البرتغاليون إلى خسائر فادحة .[2]

[1] – رأفت الشيخ : " تاريخ العرب الحديث " ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، إسباتسا ، الهرم ، 1994 ، ص 146 .

[2] – محمد شاكر : " موسوعة تاريخ الخليج العربي " ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2005م ، ص ص 172 ، 173 .

نقل البرتغاليون تعزيزات عسكرية إلى جزيرة هرمز التي اتخذها الثوار مقر لقيادة الثورة وقضوا على الثورة بعد سلسلة من الأعمال الوحشية وكان من نتائج إخفاق الثورة أن لغي البرتغاليون الإدارة العربية في حكم هرمز .

وعلى الرغم من سياسة الاضطهاد التي مارسها البرتغاليون فقد عاد العرب في هرمز إلى ثورة ثانية في عام 1526م وشاركهم حكم مسقط وقلهات ، وقد وصلت أنباء الثورة إلى نائب الملك في البرتغال في 21 فيفري 1526م فأرسل حملة عسكرية فورا مؤلفة من خمس سفن للقضاء على الثورة وانتهز القائد البرتغالي الفرصة فقام بتعزيز الوجود العسكري البرتغالي في عمان وإنشاء عدد من الثكنات وشن الهجوم على ظفار لغرض تدميرها ، وهكذا استطاع البرتغاليين القضاء على الثورة ، ومع ذلك استمرت روح المقاومة والثورة حتى أن ملك البرتغال أمر في عام 1529م بترحيل كافة القوى والجماعات المناوئة للبرتغاليين في جزيرة هرمز .

وثارت البحرين في عام 1529م فأرسل البرتغاليون حملة لكنها فشلت نتيجة لنقص استعداداتها وكان لهذا الفشل انعكاسات سيئة على هبة البرتغاليين ونفوذهم في المنطقة .[1]

كما شهدت في الفترة من عام 1640م حتى عام 1650م انحسار للوجود البرتغالي في الخليج ساهم فيه الخليجيون بدور أساسي ، ومارسوا فيه عمليات الجهاد البحري وشاركهم أيضا مغامرون أتراك مثل ببري بلاورايس مراد وعلي بلا ، الذين وقفوا ضد البرتغال في الخليج والبحر العربي في المدة من عام 1581م حتى عام 1581م .[2]

[1] – محمد شاكر : المرجع السابق ، ص ص 172 ، 173 .

[2] – رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص 46 .

فقد استطاع عرب الخليج بحملة بحرية انتزاع مدينة ممبسة الإفريقية العربية من أيدي البرتغاليين عام 1660م كما استمرت عملية الجهاد البحري للخليجين ضد السفن ضد السفن البرتغالية في الخليج العربي والبحر العربي والمحيط الهندي من عام 1693م حتى عام 1722م وشهدت مياه الخليج سواء قرب الشواطئ الشرقية الإيرانية أو في المياه الإقليمية العربية من الخليج معارك ، وكانت سفن العثمانيين في مقدمة السفن الخليجية العربية في تلك المعارك سواء أمام ميناء كنج الفارسي أو مقابل مسقط العربية أو عند مياه ممبسة الإفريقية ، وباتجاه مدينة سوارات الهندية ، وإن لم يكن النصر حليف العرب في تلك المعارك إلا أنهم قاموا بعمليات الجهاد البحري الإسلامي ضد الاعتداءات الأجنبية .[1]

2- كفاح المغاربة ضد هجمات الإسبان والبرتغال :

وقف الوطاسيون في وجه الأعداء من البرتغاليون والاسبان وقوف الأسد المصور بالرغم من ضعفه وتأخرهم ولكن دفاعهم عن الوطن لم يجد فتيلا ، بتصدي إلى العدو ومحاصرته في الثغور المغربية الكثيرة التي احتلها ، وفي ضل تلك القوى والضعف قامت جماعات متعددة من أبناء المغرب بتقديم مساعدات مادية من مالها الخاص وأنفسها ، مدفوعة بذلك كله بصوت الواجب الديني .[2]

[1] – رأفت الشيخ : المرجع السابق ، ص 146 .

[2] – محمد الأمين وآخرون : " المفيد في تاريخ المغرب "، د ط ، دار الكتاب البيضاء ، د.س ، 181 .

ومن هذه الجماعات الأشراف العلمين أبناء راشد الذين أسسوا مدينة شتشاون ، وذلك بهدف حماية المسلمين من الاعتداءات الأجنبية ثم جماعة الأندلس بقيادة بطلهم أبي الحسن المنصوري ، ومن هؤلاء أيضا جماعة أهل زمور ، الذين قاموا بمحاربة العدو البرتغالي الذي احتل ثغورهم ، وهكذا ساعدت هذه الجماعات المخلصة الدولة الوطاسية الضعيفة ، على مكافحة أعداء الدين والوطن إذ أنها قامت بإيقاف التيار الاستعماري الأجنبي من التوغل داخل الوطن .[1]

[1] – محمد الأمين محمد وآخرون : المرجع السابق ، ص 181 .

6- نتائج وآثار الاستعمار على البلاد العربية :

ومن الآثار التي خلفها الاستعمار البرتغالي والاسباني في الوطن العربي خلال تواجده بهذه المنطقة هو :

قد تسبب الغزو البرتغالي في تدهور الوضع الاقتصادي لهذه الدول العربية .[1]

احتكار البرتغال تجارة الشرق والتجارة في السلع الإفريقية ، وفي مقدمتها الرقيق والذهب وأصبحت لشبونة مركزا رئيسيا للسلع الإفريقية ومنتجات الشرق .

كان الاستعمار البرتغالي ضربة عنيفة هزت نفوذ المسلمين التجاري في المحيط الهندي والبحار الشرقية ، كما أثرت على الإمارات العربية في شرق أفريقيا .[2]

سيطرت البرتغال على الطرق التجارية العالمية في المحيط الهندي وانتزاعها من أيدي العرب والمسلمين خصوصا تلك الطرق التي تمر بطريق الخليج العربي والبحر الأحمر .

إغلاق المنافذ البحرية والطرق في وجه المسلمين وإضعاف العالم الإسلامي اقتصاديا .

تحكم البرتغاليين في مداخل الخليج العربي وبعض أجزاء من سواحله وأحكموا سيطرتهم على هذه المملكة وممتلكاتهم وموانئها .

ارتكب المستعمرون الاسبان والبرتغاليين مجازر بحق الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وخيراتها .[3]

[1] – صلاح أوزيران ، المرجع السابق ، ص 58 .

[2] – شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص 81 .

[3] – محمد حميد السلمان : المرجع السابق ، ص 76 .

القضاء على الوساطة العربية التجارية بين أوروبا والمناطق الأسيوية المنتجة للتوابل والعقاقير وتحولت فوائد تلك التجارة في أيدي البرتغاليين .

وكان البرتغاليون قد أحدثوا مجازر عند سيطرتهم على الشواطئ الهندية ويسجل القائد البرتغالي البوكيرك بفقر بعضها .[1]

استقلال المادي والتجاري من أجل نهب خيرات الدول العربية والشعب العربي الإسلامي .[2]

وقد ساهم الخطر الإسباني في تجسيد وحدة الجزائر الترابية بالإضافة إلى التهديد المزدوج للشركات الاحتكارية الأجنبية والقرصنة المسيحية لمدينة الجزائر الطابع التجاري البحري .[3]

وقد استطاع الاسبان والبرتغال من توجيه ضربة شديدة إلى اقتصاد الوطن العربي بعد أن وضعوا أيديهم على تجارته فأصبحوا قادرين على إيصال البضائع إلى أوروبا بأسعار تقل عن أسعار البضائع التي كانت تمر بالأقطار العربية .[4]

الكشوف الجغرافية هي تجسيد لمشروع استعماري برز من خلاله بصمات برتغالية واسبانية ، ساهمت في كشف طرق بحرية جديدة تمكنها من السيطرة على موارد القارة وتتويج نفسها ملكة على رأس الدول الأوروبية .

[1] – محمد حميد السلمان : المرجع السابق ، ص 143 .

[2] – جلال يحي : المرجع السابق ص 146 .

[3] – نوشى أندري بريان أندي لاكوست : المرجع السابق ، ص 123 .

[4] – صلاح أوزيران : المرجع السابق ، ص 59 .

الخاتمة :

ولم يكن الذي ذكرناه هو كل البداية ولم يكن كل النهاية ، فما زال هناك الكثير مما هو غامض ولم يكشف عنه الستار من تاريخ الكشف الجغرافي الأوروبي من مختلف المناطق من العالم ، تلك الفترة التي برزت فيها البرتغال والاسبان كمستكشفين آنذاك انطلاقا من أهداف صليبية واقتصادية وسياسية بدأت تتبلور منذ تأسيس كيان سياسي عسكري في شبه جزيرة إيبيريا .

لقد كانت الحاجة ملحة لضرب موطن المسلمين وطمس معالمهم ، ولعل المواجهة المباشرة في المشرق العربي إبان الحروب لم تحقق ذلك فقد ظهر توجه آخر في الخامس عشر تسانده البابوية والكنيسة الأوروبية الغربية بكل جهدها وحماسها الصليبي ، وذلك من خلال التخطيط للالتفاف حول المسلمين واحتلال منابع وطرق التجارة في مشرق العالم الإسلامي والسعي الجارف بتدمير مقدسات المسلمين الدينية .

وما زاد لتحقيق تلك الأحلام الصليبية الأوروبية المتوفرات الاقتصادية الجمة والمتمثلة في تجارة التوابل وذهب إفريقيا ، مما أشعل رغبة في عملية الكشف الجغرافية البرتغالية والاسبانية إن صح التعبير فالأوضاع المعيشية المتردية والمجاعات الإنسانية المتوالية ما بين القرنين 14 و 15 كانت محفزا لزيادة الكشوف الجغرافية التي مثلها في البداية طموحات " هنري الملاح " مطلع القرن الخامس عشر ، وتواصلت فيما بعد إلى حين النجاح في رسم الطريق المؤدي لاكتشاف رأس الرجاء الصالح وما تبع ذلك من امتداد تسلطي برتغالي لأول مرة في العالم إلى شرق إفريقيا والهند والخليج العربي والبحر الأحمر ، وكذلك باكتشاف ماجلان الطريق المؤدي إلى الهند من الجهة الغربية وبذلك برهن على أن الأرض كروية لأنه دار حول الكرة الأرضية ومن هنا بدأ النمو الفعلي للمشروع البرتغالي والإسباني الكبير في أول إمبراطوريتين استعماريتين بالمعنى الحديث .

لقد أثرت الكشوف الجغرافية في التاريخ الأوروبي الحديث تأثيرا حاسما فمن الناحية الاقتصادية قد أدى استغلال اسبانيا لمناجم الذهب في أمريكا إلى التأثير على الأوضاع الاقتصادية في أوروبا ، كما ترتب عن حركة الكشوف أن تحولت الثروة من طبقة ملاك الأرض إلى طبقة جديدة ، وهم طبقة التجار سيكون لانتعاش الطبقة البرجوازية التجارية دورهم في تطور نظم الحكم في العصر الحديث ، وسياسيا قد نتج عن حركة الكشوف الجغرافية نشأة الاستعمار وازدياد الدول الأوروبية على السيطرة في العالم الجديد وآسيا وإفريقيا .

وقد أدت الكشوف الجغرافية إلى انتقال مراكز التجارة إلى البحار الغربية والجنوبية وبالتالي نهاية عهد البحر المتوسط وانتقال القيادة إلى دول أوروبا الغربية ، وكان من نتائج الكشوف الجغرافية تقدم العلوم الجغرافية واكتشاف مناطق جديدة كانت في السابق مجهولة ، كما تأكدت نظرية كروية الأرض ومن الناحية الدينية بذل البرتغاليون والإسبان جهدا كبيرا في نشر المسيحية بين السكان الأصليين وسرعان ما انتشرت الكاثوليكية في أمريكا الجنوبية .

كما أدت حركت الكشوف الجغرافية إلى زيادة مفاجئة في معرفة الإنسان عن العالم الممكن استيطانه وكانت النتيجة المباشرة لهذه المعرفة الجديدة هي الاستغلال غير الإنساني للموارد الجديدة ، وبالرغم من أن السبب الرئيسي للكشوف الجغرافية الأولى كانت البحث عن طريق بحري إلى جزر التوابل في شرق آسيا فقد كان لاكتشاف الموارد الضخمة للذهب والفضة في العالم الجديد أثار كبرى على التجارة الدولية .

ظف إلى ذلك الحقيقة المؤكدة المتمثلة في المعاملة الوحشية التي مارسها كل من البرتغال والاسبان بسكان المناطق المكتشفة والمستمرة فهؤلاء الغزاة المغتصبون أعلنوا منذ البداية

حرصهم على نشر النصرانية وفتح طرق جديدة للتجارة مع الهند كسرا للاحتكار وغلاء الأسعار والضرائب ، سرعان ما أسفروا عن وجههم الحقيقي وعبروا عن أهدافهم الصليبية ضد المسلمين عندما بدأت سفنهم تجوب مياه المحيط الهندي والبحار العربية الغربية فما حدث أن عثرت تلك السفن البرتغالية والاسبانية على سفينة عربية إسلامية إلا ونهبتها وقتلت فيها .

إضافة إلى ذلك فقد تعرض النشاط والتفوق العربي لحالة من التدهور السريع نتيجة الزحف الاستعماري وعلى بحار الشرق الذي استهله البرتغاليين في أعماق حركتهم الملاحية والاستكشافية الكبرى ، وما ترتب من إحكام سيطرتهم على المنافذ العربية التي تمر بها تجارة الشرق في طريقها أوربا .

فيعد قدوم الاستعمار البرتغالي إلى الوطن العربي بداية للعصر الحديث ، فقد فتح البرتغاليون الباب للدول الأوروبية بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الهند مما أدى إلى الوطن تدهور حركة الملاحة العربية في المحيط الهندي ، وضعف حركة التجارة في الخليج العربي منذ أن بدأ الغزو الأوروبي له في القرن السادس عشر ، تتركز من الناحية الإستراتيجية أي في استخدام الخليج العربي نقطة وصول إلى المستعمرات الكبرى في الشرقيين الأدنى والأقصى .

وكانت البرتغال هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي تتمتع بنفوذ فعال لها في الخليج ، منذ أن أبحر ألفونسو البوكيرك البرتغالي عن طريق الرجاء الصالح ووصل إلى الخليج العربي واحتل مدينتي مسقط وهرمز وبني فيها الحصون والقلاع لحراسة باب الخليج وذلك سنة 1507م ، وأصبح البرتغاليون خلال القرن السادس عشر أسياد الموقف في الخليج العربي

وكانوا يسيطرون على تجارة الحرير مع إيران ، برغم كل المحاولات غير الناجحة من الأتراك لعرقلة هذه التجارة والقائد البرتغالي المشهور البوكيرك هو أول من تنبه لأهمية الموقع الجغرافي في الخليج .

وبعد تصدي العرب للبرتغاليين والإسبان وكانت المقاومة العربية قد بلغت أوجها من أجل طرد البرتغاليين والإسبان ، بحيث امتازت بالقوة والقدرة على مواجهة الصعاب والوقوف في وجه العدو ضد التدمير الذي أحدثه البرتغاليون والإسبان ، وقاموا بعدة معارك حربية وثورات معهم وكان للدور العربي أثره الفعال في مقاومة الوجود الأوروبي ، حيث طهر العثمانيون منطقة الخليج من الوجود البرتغالي دون أن يستعينوا بقوة خارجية بل إنهم واجهوا أحيانا تكتل القوى الأوروبية .

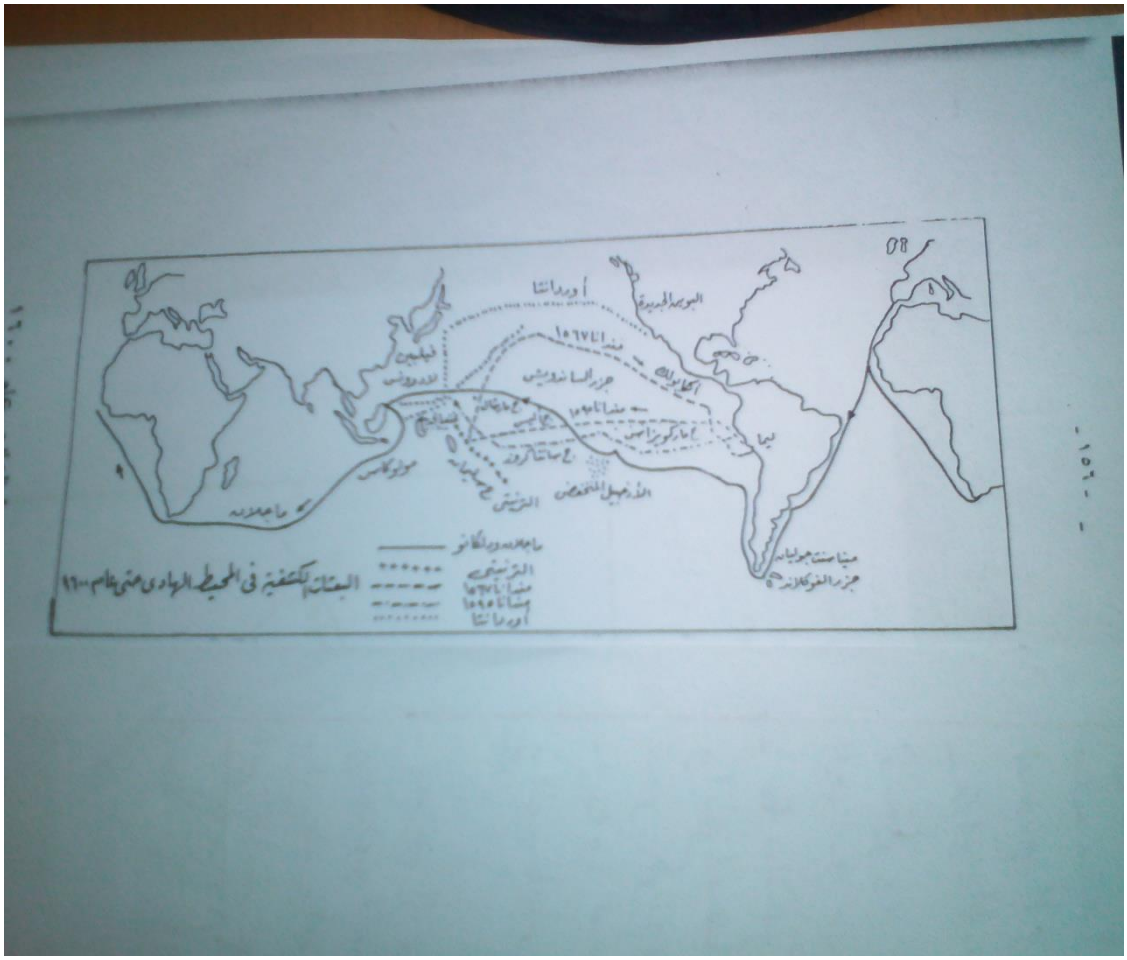

- **ملحق رقم 01 :** يمثل البعثات الكشفية في المحيط الهادي عام 1600م .[1]

[1] – يوسف نصر السيد : الكشوفات الجغرافية البرتغالية والإسبانية حول العالم بين الاستعمار والاستغلال ، د ط ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، 2007 ، ص 156 .

– **الملحق رقم 02** : يمثل رحلة فاسكو دي جاما إلى الهند .[1]

[1] – يوسف نصر السيد : المرجع السابق ، ص 55

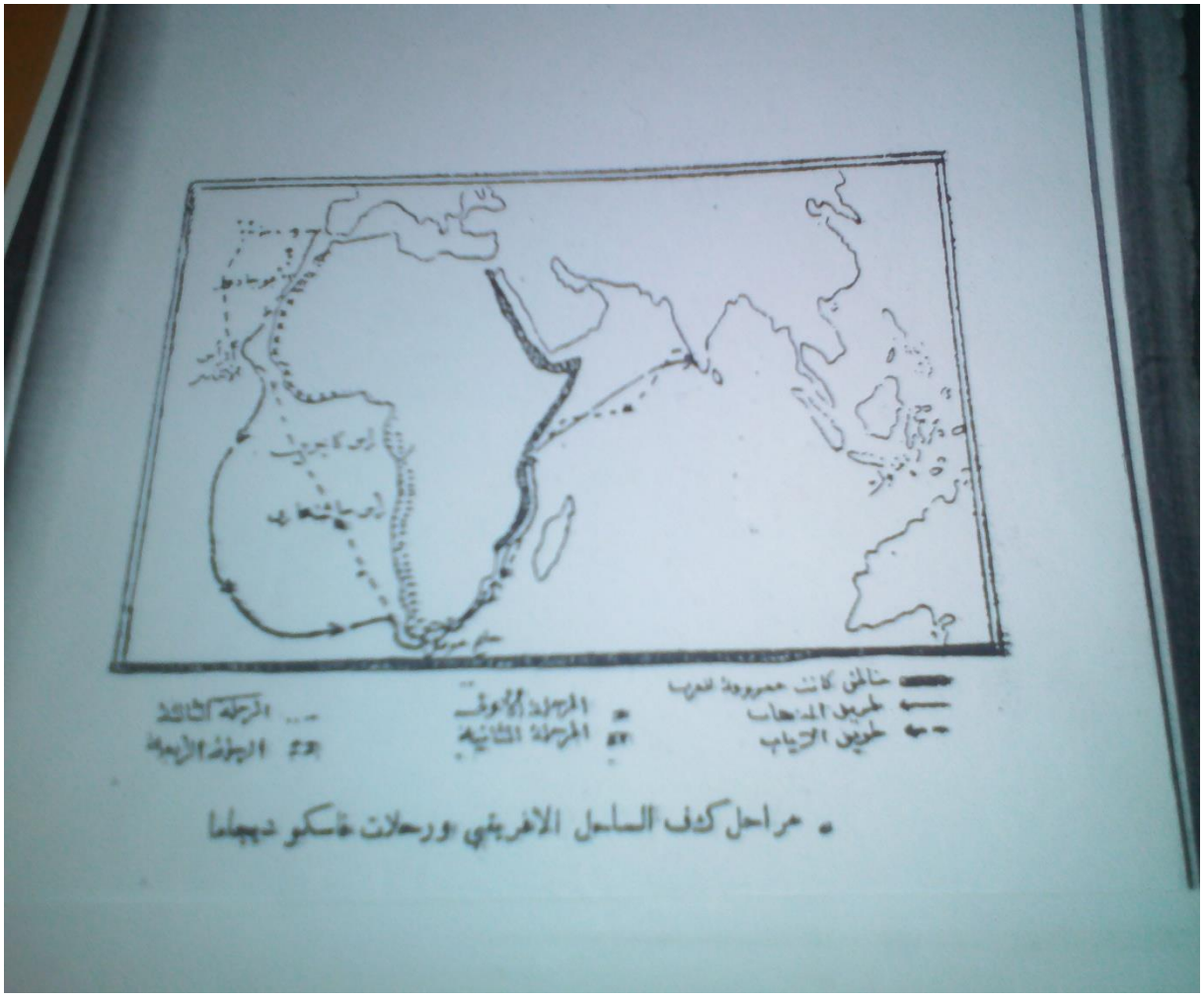

- **الملحق رقم 03** : يمثل كشف الساحل الإفريقي ورحلات فاسكو دي جاما .[1]

[1] – فرغلي علي تسن هريدي : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر بين الكشوف – الاستعمار – الاستغلال ، ط 1 ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 2008 ، ص 360 .

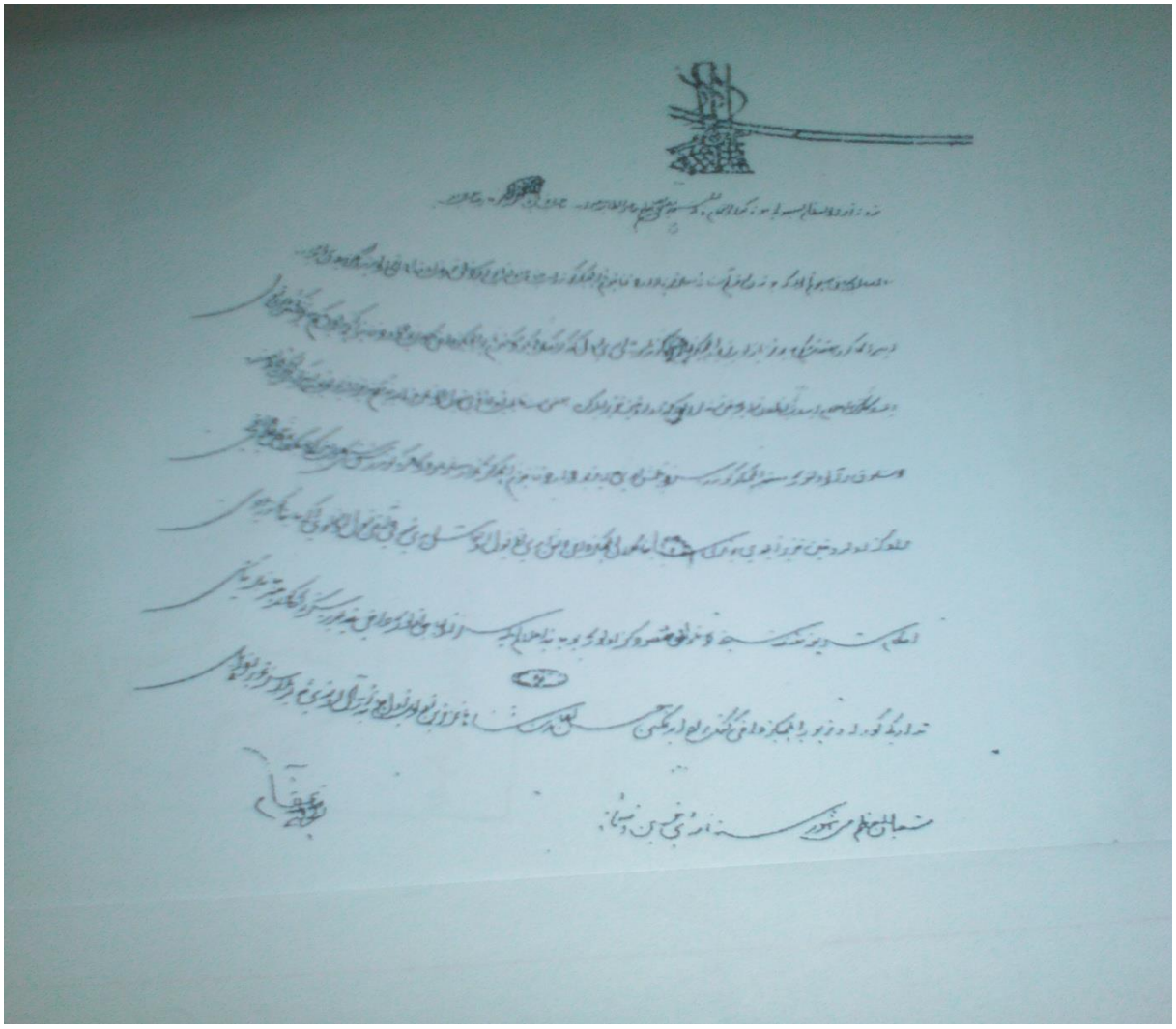

- **الملحق رقم 04** : يمثل وثيقة بحرية .[1]

[1] – محمد محمود خليل : وثائق بحرية عن قبودان السويس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين ، ج 1 ، المديرية العامة للأكاديمية المصرية للتاريخ والتراث والفنون ، ص 243 .

قائمة المصادر :

1- ابن ياس أبو البركات محمد بن احمد الحنفي : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق ، مصطفى محمد ، ج 5 ، د ط ، مطابع الشعب ، القاهرة ، 1960 .

2- التونسي خير الدين : أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تقديم ، محمد الحداد ، ج1 ، د ط ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 2012 .

3- خليل محمد محمود : وثائق بحرية عن قيادات السويس ودوره العثماني في مواجهة البرتغاليين (الخليج العربي ، الجزيرة العربية ، ولاية الجش ، المحيط الهندي ، المغرب العربي) ، ج 1 ، د ط ، د.س .

4- الشريف الزهار أحمد : مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1754 – 1830م ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 .

5- شهاب حسن صالح : دور البحرية العثمانية في التصدي للمخطط البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة الإمارات العربية المتحدة ، 1985 .

6- لوريمر جون جوردن : دليل الخليج ، قسم التاريخ ، ج 1 ، د ط ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، 1997 .

7- المزاري الأغابن عودة : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19 ، تحقيق ، يحي بوعزيز ، ج 1 ، دار البصائر ، 2009 .

8- النصراوي المكي قطب الدين محمد بن أحمد : اليرق اليماني في الفتح العثماني ، د ط ، دار اليمامة ، المملكة العربية السعودية ، 1967 .

قائمة المراجع :

1- أباضة فاروق عثمان : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعلى البحر المتوسط أثناء القرن 16 ، ط 1 ، دار المعرفة ، القاهرة ، 1993 .

2- إبراهيم عيسى علي : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، د ط ، دار المعرفة الجامعية ، 2000 .

3- أبو شهاب أحمد : التنافس الاستعماري في الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد 1 ، 1989 .

4- أبو علية عبد الفتاح حسن : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، د ط ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2007 .

5- الأمين محمد وآخرون : المفيد في تاريخ المغرب ، د ط ، دار الكتاب البيضاء ، د.س.

6- أندري نوشى بريان أندي لاكوست إيف : الجزائر بين الماضي والحاضر ، ترجمة ، اسطمبولي رابح ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1984 .

7- أوزابران صالح : الأتراك العثمانيين والبرتغاليون في خليج العربي في 1534 – 1581م ، ترجمة ، عبد الجبار الناجي ، مطبعة الإرشاد ، البصرة ، 1997 .

8- البطريق عبد الحميد : التيارات السياسية المعاصرة (1815 – 1960م) ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، 1974 .

9- جفري برون : تاريخ أوروبا الحديث ، ترجمة ، علي المرزوقي ، منتديات مجلة الابتسامة ، الأهلية ، د.س .

10- الجمل شوقي عطا الله : المغرب الكبير في العصر الحديث ، ط 1 ، المكتبة الأنجلو الأمريكية ، مصر ، 1977 .

11- الجمل شوقي عطا الله وعبد الرزاق إبراهيم : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، ط 2 ، دار الزهراء ، الرياض ، 2002

12- حمدان جمال : إستراتيجية الاستعمار والتحرر ، ط 1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983.

13- حمدي جعفر عباس : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، د ط ، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، د.س .

14- رمضان عبد العظيم : تاريخ أوروبا والعالم في العصر الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة ، ج 1 ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997 .

15- رياض زاهر : استعمار إفريقية ، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 .

16- زينب عصمت راشد : تاريخ أوروبا الحديث من القرن السادس إلى نهاية القرن 18م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2005 .

17- السلمان محمد حميد : الغزو البرتغالي لجنوب العربي والخليج في الفترة مابين 1507-1525م ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، 2000 .

18- سليمان نوار عبد العزيز ، ومحمد محمود جمال الدين : التاريخ الأوروبي الحديث بين عصر النهضة حتى نهاية ح ع 1 ، د ط ، دار الفكر العربي، 1999 .

19- سيد أشرف صالح محمد : أصول التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعة ، الإسكندرية .

20- سيد يوسف نصر : الكشوف الجغرافية البرتغالية والاسبانية حول العالم بين الاستعمار والاستغلال ، مركز الإسكندرية للكتاب .

21- الشاري عبد العزيز : المراحل الأولى للوجود البرتغالي في شرق الجزائر العربية ، ج 2 ، د ط ، دار الثقافة للطباعة ، الدوحة قطر ، 1967 .

22- الشيخ رأفت : تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، اسباتس ، الهرم ، 1994 .

23- طرحان إبراهيم علي : مصر في عهد دولة المماليك ، الجراكشية 1382هـ - 1517م ، د ط ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.س .

24- طهيوب فائق ، سيد عمران محمد : تاريخ العالم حيث ومعاصر ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والترويج ، القاهرة ، مصر ، 2008 .

25- عاشور سعيد عبد الفتاح : العصر المملوكي في مصر والشام ، ط 2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1976 .

26- عبد الرزاق إبراهيم عبد الله : المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا ، د ط ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1998 .

27- عبد الرزاق عبد الله : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، ط 2 ، دار الزهراء للنشر والتوزيع ، الرياض ، 2002 .

28- عبد العزيز عمر : التاريخ الأوروبي الحديث ، دار المعرفة الإسكندرية ، مصر ، 1992 .

29- عبد العزيز عمر محمد ، والفوزي محمد علي : دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815 - 1950 ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1999 .

30- عبد عشور سعيد : التدهور الاقتصادي في دولة سلاطين المماليك 872هـ – 925هـ/ 1462م – 1587م ، د ط ، الجامعة المصرية للدراسات التاريخية ، 1973 .

31- العقاد صلاح : التيارات السياسية في الخليج العربي ، دار الوراق ، القاهرة ، 1974 .

32- العكيلي صلاح حسن : الوجه الآخر للنهضة الأوروبية محاضرة في تاريخ أوروبا في عصر النهضة 1443 – 1789م ، ط 1 ، مؤسسة الوراقة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2006 .

33- علي محمد احمد : الاكتشافات الجغرافية من القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر ، ط 1 ، المطبعة الجمالية ، القاهرة ، 1913 .

34- عودة عبد المالك : السياسة والحكم في إفريقيا ، د ط ، القاهرة ، د.س .

35- العيدروس محمد حسن : سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي ، دار المتنبي للطباعة والنشر ، أبو ظبي ، 1995 .

36- غومبريتش إي إتش : مختصر تاريخ العالم ، ترجمه ، ابتهال الخطيب ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978 .

37- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999 .

38- القار منقدين محمود : الاستعمار في العصر الحديث ودوافع الدينية ، مكة المكرمة ، 1427هـ .

39- قاسم جمال زكريا : الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول 1507 – 1840م ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1985 .

40- ماكيفيدي كولين : أطلس التاريخ الإفريقي ، ترجمة ، مختار السويقي ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 .

41- المدني أحمد توفيق : حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492 – 1792م ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976 .

42- المقرحي ميلاد : تاريخ أوروبا الحديث 1453 – 1848م ، ط 1 ، دار الكتب الوطنية ، بن غازي ، 1996 .

43- المؤنس حسن : تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي ، ج 2 ، مجلد 2 ، ط 1 ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992 .

44- النجار سعيد : تاريخ الفكر الاقتصادي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985.

45- النشار محمد محمود أحمد : تأسيس مملكة البرتغال السياسة الخارجية لألفونسو هنريكو ملك البرتغال 1028 – 1185م ، ط 1 ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، شارع يوسف فهمي اسباتن ، الهرم ، 1995 .

46- النيرب محمد محمود : تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، ج 1 ، ط 1 ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ، 1997 .

47- هربرت فيشر : أصول التاريخ الأوروبي الحديث ، ترجمة ، زينب راشد وأحمد عبد الرحيم ومصطفى ، مراجعة ، أحمد عزب وعبد الكريم ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1970م .

48- وولف جون ب : الجزائر وأوروبا ، ترجمة ، سعد الله أبو القاسم ، طبعة خاصة ، دار الرائد الجزائر 2009 .

49- ياغي إسماعيل أحمد ، ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، ج 1 ، ط 4 ، مكتبات ونشر العبيكات ، الرياض ، 2006 .

50- يحي جلال : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، أزاريطة ، الإسكندرية ، 1999 .

51- يحياوي جمال : سقوط غرناطة ومأساة الأندلس ، 1492 – 1610م .

الموسوعات :

1- إسحاق عبيدة : موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، عصر النهضة الأوروبية ، د ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2007 .

2- الزيدي مفيد : موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر الانتقال من العصور الوسطى إلى عصر النهضة 1500 – 1789م ، ج 2 ، ط 2 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2002 .

3- شاعر محمود : موسوعة تاريخ الخليج العربي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 2005 .

4- لقيه جوزيف ومسنية زولان : موسوعة تاريخ أوروبا العالم من القرن الرابع عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر ، ج 2 ، ط 1 ، منشورات عويدات بيروت ، باريس ، 1995 .

الرسائل الجامعية :

1- نجيب دكاني : الوجود الإسباني على السواحل الجزائرية ورد الفعل الجزائري خلال القرن السادس عشر ، رسالة ماجستير ، تحت إشراف الدكتور ناصر الدين سعيدوني ، جامعة الجزائر ، 2002 .

قائمة المراجع الأجنبية :

Christophe (picard) : La course a L'oceam Athantique centreculhurel Portugais , 1987 .

فهرس الموضوعات :

- الشكر

- الإهداء

- قائمة المختصرات

- المقدمة ..... -أ-

* **الفصـــل التـمهيـدي** : الاكتشافات الجغرافية الأوروبية 05

1- تعريف الكشوفات الجغرافية 06

2- أسباب ودوافع الكشوفات الجغرافية 07

أ- أسباب سياسية 07

ب- أسباب اقتصادية 08

ج- أسباب دينية 09

3- أهداف الكشوفات الجغرافية 13

* **الفصـــل الأول** : الاكتشافات الجغرافية البرتغالية 16

1- التعريف بمملكة البرتغال 17

2- أسباب بدأ البرتغاليين لكشوفهم الجغرافية 19

3- العوامل التي شجعت البرتغاليين على القيام بحركة الكشوف الجغرافية 22

4- الرحلات البرتغالية 25

5- أهداف الكشوف الجغرافية البرتغالية 35

6- نتائج الكشوف الجغرافية البرتغالية 38

7- انهيار الإمبراطورية البرتغالية 43

* **الفصـــل الثـــانـي** : الاكتشافات الجغرافية الإسبانية 45

1- التعريف بالإمبراطورية الإسبانية 46

2- الاكتشافات الإسبانية 48

أ- كريستوف كولومبس ورحلاته 49

ب- رحلات ماجلان 1519م – 1522م 55

ج- نتائج اكتشاف ماجلان 57

3- نتائج الكشوف الجغرافية وأثرها على العالم الإسلامي وعلى أوروبا 60

4- الفرق بين حركة الكشوف الجغرافية الإسبانية والبرتغالية : 72

أ- أوجه الاختلاف بين الكشوف الإسبانية والبرتغالية 72

ب- أوجه التشابه بين الكشوف الإسبانية والبرتغالية 73

ج- العلاقة بينهما 74

* **الفصل ثالث** : علاقة الكشوف الجغرافية بالحركة الاستعمارية في الوطن العربي وآثارها..... 75

1- دور الكشوف الجغرافية في ظهور وانتشار الاستعمار 77

2- التعريف بالاستعمار أسبابه ودوافعه 78

3- الاستعمار البرتغالي للوطن العربي 83

أ- طبيعة الاستعمار البرتغالي للوطن العربي 83

ب- السياسة الاستعمارية البرتغالية في المغرب العربي 88

4- السياسة الإسبانية في شمال إفريقيا 90

5- مقاومة العالم الإسلامي للاستعمار البرتغالي والإسباني 95

أ- الصراع العثماني الاسباني والبرتغالي 95

ب – القوى الوطنية في مواجهة الاستعمار الغربي 100

6- نتائج وآثر الاستعمار على البلاد العربية 104

- الخاتمة 106
- الملاحق 110
- الببليوغرافيا 114
- فهرس الموضوعات 123